عندما يصبح الانتقام
عدالة
الجزء الثاني
لمحة
جرائم لا تمد الى الصفات البشرية بصلة , غموض يلف كل شيء , لا
دليل ولا أثر يتركه ذلك الشبح , قاتل بلا رحمة , لا يحتاج رياحاً تمحو
خطواته بين الرمال , ولا ظلاماً يخفي وجهه المشتعل ناراً , فقط حينما
يتجسد الشر في أبشع صوره .. يولد أمثاله , نصب عينيه ولد انتقام
ينادي الماضي البعيد : أن يا بشر .. هذا ما صنعت أيديكم .. سأنتقم
وسيدفع الجميع الثمن , في الجزء السابق وصلت قصتنا الى أكثر من
مئة قتيل في بضعة جرائم , ولا أحد يعلم من التالي ,
في هذا الجزء السر .. سيكشف .
بقلم : ضياء الفاخوري

عندما يصبح الانتقام عدالة

الجزء الثانى : السر يكشف

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2017/9/4751)

بقلم : ضياء الفاخوري

لمحة

جرائم لا تمد الى الصفات البشرية بصلة ، غموض يلف كل شيء ، لا دليل ولا أثر يتركه ذلك الشبح ، قاتل بلا رحمة ، لا يحتاج رياحاً تمحو خطواته بين الرمال ، ولا ظلاماً يخفي وجهه المشتعل ناراً ، فقط حينما يتجسد الشر في أبشع صوره .. يولد أمثاله ، نصب عينيه ولد انتقام ينادي الماضي البعيد : أن يا بشر .. هذا ما صنعت أيديكم .. سأنتقم وسيدفع الجميع الثمن ، في الجزء السابق وصلت قصتنا الى أكثر من مئة قتيل في بضعة جرائم ، ولا أحد يعلم من التالي ، في هذا الجزء السر .. سيكشف .

***

- من هناك ؟

= ها قد التقينا أخيراً .. ايها الذئب الغادر

- من أنت ؟ وكيف دخلت الى غرفتي ..

= أنا ذلك الرعب الذي سيتخطف أرواحكم واحداً تلو الآخر .. انا الذي لو تقاسم العالم ألمي لأوجعهم جميعاً ، وانا..من سيذيقك شيئاً مما أشعر به.

- يا إلهي ما هذا المخلوق .. لا لا تقترب .. ساعدوني ! .. النجدة ... !

صرخات حطمت الهدوء في منتصف تلك الليلة الماطرة ، وعلت على أنفجارات الرعد المتتالية ، ومن ثم تستيقظ المدينة مرة اخرى على ضربة خاطفة جديدة ، نفذها شبح غامض في منتصف الظلام كالعادة ، ضربة جديدة موجهة نحو العائلة نفسها .. ولكن هذه المرة مختلفة تماماًعن سابقاتها ، فالضحية (تيسير) لم يقتل بالرصاص، لكنه قتل بطريقة أبشع بكثير ، طريقة لم يكن الهدف منها الا التعذيب ، جثة مغطاة بجروح عميقة ، طعنات عشوائية ، دماء في كل مكان ، و أخيراً .. رأسه

فصل عن جسده .. بواسطة أداة حادة ، كل هذا جرى في غرفة هذا الشاب في ضواحي المدينة في منتصف الليل ، وبواسطة سلاح رهيب لم يتعرف أفراد الشرطة عليه أبداً ، بل لم يعرفوا أبداً سلاحاً صنعه بنو البشر يمكنه تشويه الجثة بهذا الشكل وبهذه السرعة ، ربما هو أقرب ما يكون للسيف ، ويبقى السؤال الذي يحير الجميع كالعادة : من فعل ذلك ؟ هذه ليست طريقة بشرية في القتل .. أبداً ، ولماذا هذا الشخص تحديداً ،لماذا هذه العائلة وبهذه الطرق المروعة ؟ بلا شك لقصتنا بقية ولأسئلتنا أجابات ،ولا بد للحقيقة أن تكشف مهما طال زمن ضياعها .

****

- الاسم : تيسير ، العمر : 26 عاماً ، زمن الوفاة المقدر منتصف الليلة الماضية ، سلاح الجريمة غير موجود ولم يتعرف الطب الشرعي على نوعه بعد ، كل ما نعرفه انه اداة حادة ، وقد نزف الضحية على اثر الاصابة به كل دمه تقريباً ، لا يوجد بصمات ولا آثار ولا أدلة تركها القاتل ، بلا شك انه الشبح مجداداً سيدي.

- (السيد عماد) : حسناً تابعوا البحث في الغرفة وانقلوا الجثة الى المشرحة استعداداً لدفنها ، وأنت ايها المحقق حسام تعال معي .. أريد أن أعرف كيف دخل القاتل الى منزل هذا الشاب وكيف اقتحم غرفته وأجهز عليه دون أن يلاحظه أحد ، من يقيم معه هنا ؟ من يملك مفاتيح البيت غيره ؟ هل فقد شيء من أغراضه ؟ لن يفلت ذلك المجرم مني هذه المرة...

- (المحقق حسام) : في البداية فان الضحية تيسير يسكن مع والدته في هذا البيت ، والده توفي قبل فترة قريبة في الديوان على يد القاتل نفسه، والدته مسنة وهي تنام في غرفتها البعيدة عن هذه الغرفة ، هاتف الضحية موجود ولا شيء مريب فيه ، سيواصل افراد الشرطة البحث بين

أغراض الضحية لعلهم يجدون شيئاً يفيدنا .. هذا كل شيء حتى هذه اللحظة سيدي .

- (السيد عماد) : وكيف دخل القاتل الى هنا ؟ هل هناك كسور على النافذة او الباب ؟

- (المحقق حسام) : لا يبدو ذلك سيدي ، لا يوجد أيّ أثر على دخوله ولكن غرفة الضحية قريبة من باب المنزل ، ربما استعمل أداة لفتح الباب ودخل و خرج منه ، هذا هو التفسير الوحيد أمامنا فلا أثر يدل على المجرم إطلاقاً ، وكأنه نفحة هواء عابرة دخلت و خرجت ببساطة ..

- (السيد عماد) : استدعي ام هذا الشاب ، و كل سكان المنازل القريبة ، ألم يشاهدأحد منهم شخصاً غريباً يتسلل الى هنا ؟

- (المحقق حسام) : الام منهارة جداً سيدي ولا أعتقد بأن حالها يسمح باستجوابها بتاتاً .
- (السيد عماد) : استدعيها حالاً فالمزيد من الأرواح في خطر ايها المحقق ، لا مجال للمشاعر والاحزان الآن فهذا الشيء سيقضي على كل من بقي في المدينة قريباً .

- (المحقق حسام) : حاضر ..سنستدعيها وكل السكان في الحال سيدي.

على الفور ، توجهت طواقم الشرطة الى كل المنازل المجاورة وتم استدعاء السكان الى قسم الشرطة ومن ثم استجوابهم بالاضافة الى ام تيسير والدة الضحية ، ولكن وكما توقع المحقق فلا شهود على ما حصل لا أحد منهم قدّم معلومات مفيدة ، ولكن لا يقال سوا " لا لوم عليهم " ، فقاتل تيسير قتل اكثر من مئة قبله .. ولم يترك خلفه أي دليل ، حتى الذين جمعهم به لقاء خاطف ..قتلوا ، مصابيح الشارع المقابل لمنزل الضحية قد تعطل تفي تلك الليلة، جميعها .. حطمت بطريقة ذكية ، وألقت بليلٍ ثقيل الوطئة على الحي ،ليل يحمل في ثناياه الموت بأفظح أشكاله.. وكما لم تعهد الشرطة من قبل ، يبدو واضحاً بأن الشبح قد عاد ليكمل انتقامه ، و كالعادة لم يترك أي دليل خلفه ، ذاك القاتل الذي أظهر براعة

حقيقية في التخطيط والتنفيذ لجرائمه البشعة ، ومايزال يصنف ضمن دائرة المجهول .

تعود ذاكرة المدينة الى ما قبل شهر من اليوم ، حيث ظهر هذا القاتل لأول مرة في المدينة وقضى على ضحيته الاولى (أحمد) بطريقة وحشية ، ثم تبع ذلك تفجير ديوان العائلة و سقوط أكثر من تسعين شخصاً أشلاءاً محترقة ، ومن ثم حارس عمارة لا علاقة له بالعائلة يدفع حياته ثمناً لجنون هذا القاتل ، ومن ثم قبل اختفائه القصير مباشرةً سدد القاتل ضربته الاخيرة ليحصد فيها أرواح أكثر من مئة آخرين من العائلة نفسها اضافة الى عدد كبير من رجال الشرطة حين فجر مبنى وأشعل النار في الغابة من حوله وحول المنطقة الى جحيم هائل ، كل تلك الجرائم ولم يترك خلفه أيّأثر يدل عليه ، لا شهود ولا آثار ولا أدلة ، حتى شك البعض في كونه حقاً روحاً شريرة نهضت من موتها لتنتقم ممن قتلها ، كل من قابله قتل عدا السيد عماد الذي نجا بأعجوبة من الموت في ليلة ضبابية لا تنسى ، سكان المدينة يعرفون يقيناً بأن العائلة ظلمت الكثيرين بفضل كثرة أبنائها ومناصب معظمهم الرفيعة ، لكن يبدو بأن هذا القاتل لم يعطي أي من هذا اهتماماً ونراه ينفذ مخططاته واحداً تلو الاخر في مشهد أكثر قرباً الى الخيال ، وها هو يجهز على آخر ضحاياه بطريقة رهيبة جديدة ، وأبشع بكثير من سابقاتها ، لم تنتهي حكايتنا وكذلك لم ينتهي هذا القاتل بعد، من منزل الضحية الأخيرة (تيسير) ، من هناك، تبدء الحكاية .. لنبدء :

- (السيد عماد) : وماذا الان ؟ فقد العشرات حياتهم وانا فقدت نصف رجالي على يد ذلك المجرم ولم أحصل على دليل واحد الى الآن ،كيف يحصل كل هذا ! ايها المحقق .. هل لديك أيّ أفكار ، حقاً لقد نفذت مني كل الأفكار .. لا شيء يمكنني القيام به ، نحن عاجزون تماماً أمامه ، هذا الشيء من المستحيل التغلب عليه .

- (المحقق حسام) : سيدي أتذكر ما حصل قبل الانفجار ؟

- (السيد عماد) : وجدنا جثة السيد منير مشنوقاً ومقتولاً بطريقة مؤسفة ، بماذا يهمك هذا ؟

- (المحقق حسام) : لا سيدي أقصد قبل ذلك ، هيا تذكر .

- (السيد عماد) : تذكرت .. الصندوق الاسود ، ولكن هذا ايضاً بلا فائدة ، ما الذي تريده ايها المحقق اخبرني بلا الغاز .

- (المحقق حسام) : أقصد الطفلة سيدي ، قالت بأن صديقتها الكبيرة مي أخذتها من منزلها الى مدينة الالعاب ، قلت لي حينها بأن القاتل أخبرك بأنه هو من سمح لها بالذهاب ، ألا يبدو هذا أعترافاً واضحاً ..

- (السيد عماد) : صحيح كيف نسيت أمر تلك الفتاة ، أحسنت ايها المحقق ، بلا شك أنها هي .. ناولني اللاسلكي فوراً ..

صرخ السيد عماد في جهازه اللاسلكي" أحضروا لي الطفلة التي اختطفت .. اسمها فاتن ، واحضروا والديها معها فوراً، لا تتأخروا هيا تحركوا ".

- عناصرنا ستتحرك اليهم في الحال وسنحضرهم خلال دقائق سيدي (أحد عناصر الشرطة) .

- أريد أن اعرف من تلك الشابة التي تدعى مي وما علاقتها بالقاتل ، لا بد وأن الحل يبدء من هناك .. (السيد عماد)

وفعلا لم يطل الانتظار حتى وصل عناصر الشرطة الى منزل الطفلة و تم اقتيادهم الى مركز الشرطة ، الام والاب و فاتن الطفلة الصغيرة .

- (السيد عماد) : أخبرتموني بأن فاتن كانت مع صديقتها مي التي تكبرها بعشرين عاماً أليس كذلك يا سادة ؟

- (الأب) : نعم سيدي هذا صحيح ، وقد وعدناك بأن لا يتكرر ما حصل ولن نزعج قسم الشرطة مرة أخرى بأمر كهذا .

- (السيد عماد) : بل أريدك أن تزعجني الان وتخبرني من هي (مي) هذه ؟ فلا بد إن لم تكن هي القاتل أن تكون مساعدته .

- (فاتن) : مستحيل .. سيدي مي لا يمكن أن تكون كذلك ، أنها طيبة القلب وتحبني كثيراً ، هي لا تفعل شيئاً خاطئاً كهذا ابداً .

- (الأب) : هل تقصد القاتل الذي فجر المبنى قبل عدة ايام سيدي ؟ هل تقصد بأن مي المسؤولة عن كل ما جرى لنا ؟ ولكن كيف عرفت ؟ من أكّد لك ذلك ؟

- (السيد عماد) : كل ما جرى يؤكد لنا تورطها في القضية ، لذا فهي مطلوبة الآن ويجب أن نصل اليها باسرع وقت ، أخبرني فقط كيف اصل اليها ، أريد اسمها ورقم هاتفها و رقم سيارتها و أوصافها ومكان عملها ومكان سكنها ، أخبروني بكل شيء عنها .

- (الأب) : اذا هي من قتلت جدي السيد منير ، حسنا ايها الضابط سنخبرك بكل ما نعرفه ، هيا يا فاتن ، أخبري الضابط أين تسكن مي ؟ وأخبريه عن أوصافها وكل ما تعرفينه عنها .

- (فاتن) : كل ما أعرفه أن أسمها (مي سامح) تملك سيارة قديمة لونها أبيض ، كنت ألتقيها بالقرب من مدرستي ، ولكن لا أعرف أين تسكن فهي لم تأخذني الى بيتها أبداً ،هذا كل شيء .

- (السيد عماد) : سيدتي ألا تعرفين شيئاً عن صديقة أبنتك ؟ لابد وأنك تملكين أي شيء قد يفيدنا .

- (الام) : بلى سيدي ، فقد ألتقيتها ذات مرة بعد أن أصرّت فاتن أن تعرفني بصديقاتها ، أنها شابة لطيفة جداً يا حضرة الضابط وأنا لا أصدق بأنها قد ترتكب شيئاً فظيعاً كهذا .

- (السيد عماد) : حسناً يا سادة يمكنكم الانصراف الان ، سنحاول الاستفادة مما أخبرتنا به فاتن عن الاسم و السيارة البيضاء ، كما أرجو منكم أن تطلعوني على أيّ جديد يخص الشابة إن تذكرتم .

- (الأب) : لك ذلك يا حضرة الضابط .

- (السيد عماد) : شيء آخر ، أرجو يا سيدي بأن لا تقوموا بعقد أي عزاءٍ لضحايا المجرم ، نحن نخشى أن ينفذ القاتل عملاً أجرامياً آخر ويزهق المزيد من الأرواح ، ونحن في غنى عن ذلك الآن ألا توافقني الرأي ؟

- (الأب) : للأسف كلامك صحيح ، على كل حال لا مكان لعقد العزاء فالديوان مدمرُ ولا يزال بحاجة للترميم ، ولكن كل ما يهمنا الان يا حضرة الضابط هو الامساك بالمجرم ، لقد تجاوز حدوده كثيراً ، ويجب عليه دفع ثمن جرائمه هذه .

- (السيد عماد) : سنجده ، وسترشدنا مي بلا شك اليه .

- (الأب) : اذا مي هي الفاعل أليس كذالك ؟

- (السيد عماد) : على الأرجح نعم .

وغادرت العائلة قسم الشرطة ، ومن ثم تم نشر اسم (مي سامح) في كل مكان في المدينة مع أمر بأحضارها ، في الجانب الآخر كانت العائلة قد عزمت على البحث عن القاتل لتثأر منه ، وقد كان هدفهم الأول والاخير هو (مي سامح) أيضاً ، كانت الأوضاع في المدينة في أوج توترها والصراع يشتد بين الشرطة والعائلة من جهة ، وبين أكبر كيان غامض على وجه هذه الارض من الجهة الأخرى ، ترى من سيجد مي أولا ؟ وهل حقاً هي ذاك القاتل الغامض الذي أرّق الجميع ؟ ام أن (مي سامح) هي محض اسم مستعار لا موقع له في هذه اللعبة ؟

سرعان ما انتهى ذلك اليوم الطويل وحل المساء مجدداً، وقرر بطلنا السيد عماد العودة الى منزله بعد هذا اليوم الطويل من العمل ، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف مساءً ، ولكنه لم يعلم بأن مغادرته لمركز الشرطة لن تطول لأكثر من ساعات .. .

مع نهاية النهار و غياب الشمس ونورها ، ألقى الليل بظلمته المهيبة على المدينة ، ظلمة تحتضن قاتلاً فتاكاً لا يظهر إلا في الظلام الحالك ، وكأن الظلام جزء منه ، بل ميدانه الذي لا ينازعه فيه أحد ، تحركاته

الليلية جعلت منه كابوس الظلام الخاطف ، وذاعت الأساطير حوله ، فيما وقفت كل الجهات الامنية عاجزة تماماً أمامه وما بيدها حيلة ، ومن جانب آخر قررت العائلة المضي قدماً والقيام بجولة بحث عن هذا القاتل ، مجموعة تبحث في المدينة وأخرى تبحث في الضواحي وأخرى تبحث هنا وأخرى تبحث هناك ، وبالتأكيد جميعهم مسلحون بالأسلحة النارية، ولكن كطبعهم المعهود .. أخذت أكثر المجموعات تعيث فساداً في المدينة وترهب السكان وتسرق وتنهب دون حسابٍ لأحد ، وكأن كل ما حصل لم يردعهم ويردّهم عن غرورهم وظلمهم ، حقاً وهل تذكر الذئاب ما أكلت عند جوعها !

****

- (وليد) : مستعدون يا رجال ؟

- (محمود) : انا مستعد .. ماذا عن البقية ؟

- (علي) : مستعد ، الجميع مستعدون انا وانت يا محمود و وليد وصابر ومنتصر و رائد و نعيم و سعيد واخيراً سامر ، فلننتهي من ذاك الغبي الليلة .

- (وليد) : سنفعل .. خذوا عدتكم سننطلق نحو الغابة بعد قليل .

بعد أن حشدت العائلة حشدها واعلنت الحرب علناً وأظهرت نواياها فالانتقام لضحاياها وأخذت تبحث هنا وهناك عن أي شي قد يوصلها الى ذاك القاتل أو الى شريكته المزعومة (مي) أخذ أفرادها ينتشرون في كل مكان من المدينة ، وفي النهاية تشجع بعضهم وقررت أحدى الفرق أخيراً كسر كل الحدود في هذه المواجهة ، والتقدم نحو الغابة مباشرة .. ظانين بأنهم سيعثرون هناك على أي شيء يرشدهم الى ذلك الشبح ، قرروا المرور على ركام المبنى الذي فجره في آخر ظهور له قبل مقتل تيسير ، وكأنهم يتوقعون أن يجدوه هناك في انتظارهم ! لعلهم يشفون صدورهم من عبق الانتقام لاسم عائلتهم التي لطخها ذاك الشبح بالوحل ،وحطم كل الاساطير والأقاويل التي تمتم بها الناس سنيناً طويلة عن

العائلة و سطوتها وسيطرتها ،" بلا شك فقدتم عقولكم " كانت هذه الجملة تتردد على لسان كل من سمع بما يريدون القيام به ، ولكن مؤسف بأن أولئك الشجعان لم يثنهم شيء عن هدفهم ، وقد قرروا الانطلاق الليلة .

وما إن وصلت تلك المجموعة الى أطرافالغابة حتى قوبلت بطريق مسدود من الأشجار والصخور ، فلم يكن منها سوا أن ترجلت من سياراتها وحمل كل شخصاً سلاحه ، كانت الغابة أشد ظلمة من أي وقت مضى ، أشجارها انحنت بفعل الرياح والقت بظلالٍ مخيفة على المكان ، والقمر الساطح أخفته الغيوم السوداء تاركة الرجال في مواجهة لن تتكرر ابداً ، كان الرجال العشرة جميعهم موقنين بأنهم تبعوا الشبح الى عرينه الموجود هنا ولا يفصلهم عنه إلّا بضعة أمتار ، تقدمت المجموعة داخل الغابة مشهرةً أسلحتها ومصابيحها في وجه الظلمة القاتمة ، وأخذت تتقدم وتتقدم على غير هدى حتى ابتعدت كثيراً عن السيارات ، ولكن ما من أثر بعد ، و بعد ما يقارب الساعة من البحث في الغابة ، توقف الرجال العشرة فجأة ..

- (وليد) : لا أصدق لقد ضعنا في هذه الغابة الكبيرة ،ماذا سنفعل الان؟

- (محمود) : ليس لدينا خيار آخر ، علينا الانتظار حتى الصباح ..

- (سعيد) : أوافقك الرأي يا محمود ، علينا الحفاظ على هدوئنا فنحن عشرة رجال مسلحين ، لن يجرأ أحدٌ على المساس بأي فرد منّا .

- (صابر) : لدي أقتراح يا اخوتي ، فلنشعل ناراً ونبقى بجانبها الى أن يطلع الصباح ، ومن ثم نبحث عن طريق عودتنا ، هذا إن لم يأتي أحد من اخوتنا للبحث عنا .

- (وليد) : فكرة سديدة ، هيا يا رجال فلنجمع الحطب ولننصب لنا مخيماً في هذا المكان .

وانطلق الجميع يبحثون عن الحطب هنا وهناك ، وسرعان ما جهزوا موقع التخييم وقد اجتمع بين يديهم كومة كبيرة من الحطب أشعلوا فيها

النار ،ثم جلسوا حولها يتناقشون في كيفية العودة الى المدينة والخروج من هذه الغابة السوداء العميقة ، ولم تمضي سوا لحظات .. حتى علت على وجوههم نظرة خوف واضحة ، بعد أن لاحظوا بانهم قد اصبحوا تسعة فقط ، محمود .. مفقود ! قفز الجميع ينادون : " محمود .. محمود أين أنت ؟ " .

- (علي) : محمود لا مجال للمزاح في هذه الغابة ، هيا اخرج من مخبئك ولا تخفنا يا اخي .

- (سعيد) : اخرج يا محمود يكفي مزاحاً ..

وفجأة .. صرخة تبدو قادمة من مكان قريب، ليسود بعدها صمت ثقيل ، تلك الصرخة حطمت تماماً كل آمال الرجال التسعة في ايجاد محمود حياً، وقف الجميع مذهولين مما سمعوه ولا أحد منهم قادر على التفوه بكلمة.

- (سعيد) : ما هذا ؟ هل سمعتم ؟ لا بد انه محمود .

- (وليد) : هيا .. فلنستكشف ولنبحث عن مصدر هذا الصوت ، فليحمل كل شخص سلاحه وشعلة من النار ليرى طريقه ، وليذهب كل واحد باتجاه ، لا تبتعدوا كثيراً .. هيا انطلقوا .

بدء البحث واصابع الجميع مشدودة على زناد البنادق والمسدسات ،وقد علت على وجوههم نظرات الرعب وهم يبحثون عن مصدر الصوت موقنين بانه محمود ، ولا شك بأنه في خطر...

- (سعيد) : تعالوا الى هنا بسرعة ، هيا ..

- (علي) : هل وجدته أخيراً ، أين هو ؟

- (سعيد) : لا أجد هنا سوا الدماء .. تعالوا وانظروا معي .

وما إن وصلت المجموعة الى المكان واناروا بمشاعل النار المكان حتى صدم الجميع من المنظر ، لا يصدق .. فمحمود امامهم ، ولكن ليس تماماً ، فإن كانت هذه دماء محمود ، فلم يبقى من محمود شيء ، لقد تم تقطيعه بالكامل ...

- (وليد) : يا إلهي .. ما هذا .. هل هذه دماء محمود ؟

- (علي) : يا إلهي هل هاجمه أسد جائع ؟

- (منتصر) : هيا بنا نغادر هذا المكان يا اخوتي ، أنا خائف .

- (وليد) : استجمع شجاعتك يا منتصر ، نحن تائهون هنا أنسيت ؟

- (منتصر) : لن أبقى هنا حتى الصباح .. ان لم تأتوا فانا ساغادر وحدي ، لا أريد أن أموت هنا لا أريد .

- (وليد) : هدئ من روعك يا منتصر ولا تتهور .. سنجد طريقنا وسنخرج من هنا سوياً .. أعدك بذلك .

- (علي) : هيا بنا نعود الى مكان تخييمنا ، علينا أن لا نفترق بعد الان.

- (منتصر) : لا لن أعود الى أي مكان .. علينا الخروج من هنا فوراً ..

- (وليد) : أرجوك يا منتصر لا تخفنا هيا تعال ..

- (منتصر) : اصمتوا .. لا تتحركوا ..

- (علي) : ماذا هناك يا منتصر ؟

- (منتصر) : أشعر به ، أنه .. أنه قريب ، انفاسه ، دقات قلبه ، حرارة جسده .. انه .. انه مخيف ، يا إلهي لقد أخطأنا في القدوم الى هنا .. هيا اهربوا بسرعة ..

ولم يكد ينهي جملته حتى شقت خمسة سيوف سوداء هائلة الطول صدره، وظهر من خلفه وجه أشد سواداً من عتمة الغابة القاتمة ، وجه بعينين تشتعلان ناراً ، تلك العيون نفسها، حمراء .. تتوسطها نظرة سوداء حاقدة ، منظرها الرهيب يوحي بأنها نوافذ الى قعر الجحيم ، سقطت جثة الرجل على الارض وقد مزقتها مخالب ذلك الوحش الكاسر ، نعم تلك التي تبدو سيوفاً طويلة ما هي إلّا مخالبه السوداء .. تقطر دماً ، تجمد بقية أفراد المجموعة في اماكنهم وقد تغيرت الوانهم وبرزت عيونهم من هول المنظر ولم تعد أسلحتهم تجدي نفعاً فلا أحد منهم

استطاع تصويب السلاح نحو هذا الواقف أمامهم ، ثم صرخ الشبح : " سأنتقم .. وسيدفع جميعكم ثمن ألمي .. ستدفعون الثمن غالياً ايها الأوغاد .. لن يخرج أحد منكم من هنا حياً .. " .

لم ينهي الشبح جملته إلّا وقد فرّ الجميع في اتجاهات مختلفة وبأقصى سرعاتهم ، فرّوا وهم يصرخون بأعلى أصواتهم كمن ينادي في بئر عميق ، ولكن هيهات .. فصرخات هلاكهم تتابعت واحداً تلو الاخر ، صرخات أسمعت القاصي والداني ونشرت الرعب في قلوب من سمعها من سكان الضواحي المجاورة ، كانت صرخات تحمل الخوف والألم والموت معا ، وسرعان ما ابتلعها هذا الليل الساتر ،لتفقد المجموعة بأكملها في الغابة ، ولم يعد منهم أحد ، أخطأتم .. نعم لقد أخطأتم في الذهاب الى هناك يا رجال ، من المجنون الذي يدخل عرين الموت بقدميه؟ فقد جعل منكم هذا القاتل عبرة لكل من خلفكم ، وكأن هذا المشهد لم يكن سوا إثبات بأن هذه المجموعات الباحثة عنه لن تفعل شيئاً أكثر من الصراخ و الهرب،وليكن درساً لمن ظن بأن القضاء عليه سيكون بتلك البساطة .

****

- سيد عماد آسف لازعاجك في هذه الساعة سيدي ، لكن أعتقد أن عليك القدوم الى هنا بسرعة (أحد عناصر الشرطة)

- (السيد عماد) : ماذا هناك ايها الشرطي ؟ ما الذي جرى ؟

- وصلنا بلاغ خطير .. أحد السكان في حالة من الرعب أبلغ عن صرخات من وسط الغابة سمع صداها من الضواحي القريبة .

فوجئ السيد عماد بهذا الاتصال ، لكنه وبلا تتردد انطلاق فوراً لقسم الشرطة ولم يكد يصل اليه حتى وصل المحقق حسام هو الاخر وكانت كل دوريات الشرطة مستعدة للهجوم فوراً وتنتظر الإشارة فقط ، انطلقت القوة في منتصف الليل الى منتصف الغابة نحو منتصف المجهول تماماً، وسرعان ما وصلت الى أطراف الغابة وعثرت على السيارات المصطفة هناك ، كان من الصعب التفتيش في هذا الظلام الحالك وفي هذه الاجواء الضبابية الباردة عن أصحاب هذه السيارات داخل الغابة ، ولكن رجال الشرطة الشجعان يتقدمهم السيد عماد اقتحموا الغابة يشقون ستار الظلام بمصابيحهم اليدوية وقلوبهم التي لا تعرف الخوف مطلقا ، ولم يطل البحث حتى وجدت أولى الجثث ، او بالأحرى .. رأسها فقط .

في صباح اليوم التالي بانت الصورة بأكملها ، صورة الحقد الأسود الحقيقي ، " يا إلهي ما هذا .. اتمنى الموت على الوقوع بين يديه " كانت تلك كلمات كل صحفي أوشرطي أو أي أحد رأى الغابة في ذلك اليوم ، وجدت أجسادهم .. مقطعة ، مبعثرة ، ممزقة ، وكأنّ من هاجمها أسد جائع ، لا بل عشر أسود في آن واحد ، كانت ملامح الرعب ظاهرة على وجوههم حين ماتوا ، فقد كانت شعورهم بيضاء بالكامل ، ونظراتهم الجاحظة وكأن عيونهم كادت تخرج من محاجرها ، أفواههم المفتوحة تلك تخبر بأنهم صرخوا حتى الموت ، تلك الصور حفرت في عقول كل من شاهدها ، كانت أشكالهم صدمة هزت العالم بأكمله ، ما هذا المخلوق الذي هاجمهم ! بعد هذه المشاهد هذا القاتل تحول الى أسطورة حقيقية ، الى كابوس يجوب الظلام ، لم يوفر ذلك الشبح شيئاً من قوته في هجومه عليهم، ضرباته الغائرة في أجسادهم تحمل معنى الحقد والكراهية بأعمق أشكالها ،ومن ثم أخيراً .. كتابة غامضة محفورة بمخالبه الملطخة بالدماء على إحدى الأشجار :" لروحي التي قتلتموها .. سأنتقم ".

على مقربة من سيارات الضحايا وجدت سيارة أخرى بيضاء اللون ، وبعد فحصها تبين أنها سيارة مي ، لكن الدماء كانت تملؤها من الداخل و مي لم يعثر عليها ابداً، لكن تلك الدماء كانت كافية لتبرئتها من كل التهم المنسوبة إليها ، لا شك أنها ماتت منذ وقت طويل هنا ، ودفعت

حياتها ثمناً لجنون ذلك القاتل ايضاً ، مي ليست من قتل احمد ولا من فجرت الديوان .. وبالتأكيد لم تقتل هؤلاء العشرة ، فقاتلها وقاتل كل هؤلاء واحد .. وهو ما يزال حراً طليقاً .

كان يوماً مأساوياً ولم يكن لدى رجال الشرطة أمنية إلّا أن ينتهي انتشال الجثث بأقصى سرعة لعرضها على الطب الشرعي ليقول فيها كلمته ، فشكلها لا يرغب أحد برؤيته، ولم تكن مفاجئة بأن السلاح المستخدم مطابق للسلاح الذي قتل به تيسير منذ يومين ، نعم لقد عاد ليكمل انتقامه .. أنه الشبح .

****

- (المحقق حسام) : سيد عماد انتظر ، هلا أخذتني معك ؟ أريد أن اطلعك على شيء مهم .

- (السيد عماد) : هل تريد أن اوصلك الى منزلك ايها المحقق ؟

- (المحقق حسام) : لا سيدي ، هناك مكان علينا زيارته اولاً .

- (السيد عماد) : الى أين ايها المحقق ؟ قد انتصف الليل.

- (المحقق حسام) : وسط المدينة ..

- (السيد عماد) : حسناً سآخذك الى هناك هيا اصعد .

لم يكن وسط المدينة يبعد عن مركز الشرطة الا عشرين دقيقة بالسيارة ، وما إن وصل الرجلان الى هناك حتى أخذ المحقق حسام يرشد السيد عماد الى الطريق ، انعطافات متكررة وشوارع فرعية و منازل قديمة وأحياء مظلمة ، الى أن وصلا ..

- (المحقق حسام) : سيدي تعال معي بسرعة من هنا .

- (السيد عماد) : الى أين تأخذني ايها المحقق ؟ انا لم أعد أفهم شيئاً !

-(المحقق حسام) : لقد وصلنا .. بقي علينا القفز عن هذا السور الطويل ونجتاز الطريق العام فقط .

- (السيد عماد) : أرجو أن يكون لديك شيء مفيد خلف هذا السور ، وإلّا أقسم بأنني سأعاقبك على هذا الفعل ..

- (المحقق حسام) : ها قد وصلنا ، والآن هل تذكر هذا المكان سيدي ؟

- (السيد عماد) : لا أعتقد ذلك ، ما هذا المكان ؟

- (المحقق حسام) : أنه مكان أكتشاف الضحية الاولى للقاتل الشبح، ألا تذكر الضحية أحمد ؟

- (السيد عماد) : بلا تذكرته ، لكن ماذا يعني هذا ؟

- (المحقق حسام) : هيا .. أطلق النار علي الآن !

- (السيد عماد) : ما الذي تقوله ايها المحقق ؟

- (المحقق حسام) : أطلق النار .. هيا ، أعتبر من يقف أمامك هو القاتل ، هيا ..

- (السيد عماد) : كفى مزاحاً ايها المحقق ..

- (المحقق حسام) : أرجوك سيد عماد ، أطلق النار في هذا المكان ، أطلق النار في الهواء إن أردت ، أطلق فقط وسأشرح لك كل شيء .

- (السيد عماد) : لقد طفح الكيل بك، أين وضعت مسدسي ؟ كم رصاصة تريد ؟

- (المحقق حسام) : أفرغ مسدسك بالكامل .

- (السيد عماد) : لك ذلك .

و رفع السيد عماد مسدسه نحو سماء مظلمة متلبدة بالغيوم ، وأخذت الرصاصات تنطلق من المسدس رصاصة تلو الأخرى حتى فرغ المسدس

ودوّى صوت اطلاق النار عالياً في أذنيه هو والمحقق حسام حتى أضطر لسد أذنيه ، ..

- (السيد عماد) : والآن ماذا ايها المحقق ؟

- (المحقق حسام) : راقب فقط .. ألم تلاحظ شيئاً ؟

- (السيد عماد) : كفاك ألغازاً يا حسام ، ما الذي سيحصل ؟ هل ستمطر السماء دماً الآن ؟ لحسن الحظ بأن أحداً لم يتصل بالشرطة الى الآن ليبلغ عن صوت الرص.. ماذا ! لا أصدق .

- (المحقق حسام) : تماماً يا حضرة الرئيس ، أنظر جيداً حولك ، هل رأيت أحداً إلتفت الينا ؟ لا أحد من الشوارع المجاورة لهذا الممر سيسمع صوت مسدس يطلق رصاصاته هنا ، هل فهمت ما أقصده .

- (السيد عماد) : ولكن هذا حصل في تلك الليلة ، واندفع الجميع الى هنا فوراً وحاصروا الممر من كلتا جهتيه ، لكن كيف !

- (المحقق حسام) : تلك الأصوات لم تكن رصاصاً سيدي ، بل كانت على الأرجح قنابل صوتية، ربما تعمل بموقت زمني ، وقد وضعت في هذا المكان لصرف النظر عن الزمن الحقيقي لارتكاب الجريمة .

- (السيد عماد) : هذا يعني ..

- (المحقق حسام) : نعم ، كل ذلك كان تضليلاً ، فعدد الشهود الكبير ، و تلك الرسالة التي تلقاها الضحية قبل ربع ساعة من اكتشاف الجثة ، كل شيء حصل في ذلك اليوم ، كان مزيفاً تماماً ، وأحمد لم يقتل في الثانية عشرة من ذلك اليوم .

- (السيد عماد) : لكن هذا يبقى أفتراضاً ايها المحقق ، تدرك هذا أليس كذلك ؟

- (المحقق حسام) : أملك الدليل سيدي ، لكنه موجود تحت الأرض ، أنه مدفون مع أحمد في قبره الان .

- (السيد عماد) : وما نوع هذا الدليل ؟

- (المحقق حسام) : تقرير الطب الشرعي ، ولكن بشكل أدق بمليون مرة من سابقه .

- (السيد عماد) : اذا تعال معي بسرعة ، لقد أمسكنا أخيراً بطرف الخيط .

- (المحقق حسام) : الى أين ؟

- (السيد عماد) : سنستشير الطبيب الشرعي في قسم الشرطة ، وسنحصل بعدها على تصريح رسمي بفتح القبر وانتشال الجثة مجدداً .

وعلى الفور إنطلق السيد عماد والمحقق حسام نحو السيارة وعادا الى قسم الشرطة ، تم أستدعاء الطبيب الشرعي في الحال وإطلاعه على آخر الإستنتاجات .

- (الطبيب) : كلامك منطقي سيدي الرئيس ، لكن بالنسبة للأمكانيات المتوفرة لدينا حالياً ، فلا أعتقد بأن التقرير الذي تطلبه ممكن ، لكن مع ذلك سأبذل قصار جهدي ، إجلب لي الجثة من قبرها .

وتم اصدار مذكرة لفتح قبر الضحية (أحمد) واحضار جثته مرة أخرى الى المشرحة وعلى الفور انطلق المحقق حسام والسيد عماد نحو السيارة، لم ينتظر السيد عماد الى الصباح بل أخذ معه رجال الشرطة فوراً الى المقبرة حيث يرقد أحمد في قبره ، حتى ظلمة الليل الحالكة وبرودة الجو لم توقف الضابط عماد ورجاله عن اقتحام المقبرة الهادئة ، وبدءت عملية نبش القبر بالمعاول شيئاً فشيئاً حتى فتح القبر كاملاً ، ومن ثم بدت بكل وضوح الجثة ساطعة امام الجميع .. وكأنها تنادي المحققين بأن في داخلها سراً ينتظر أحداً لإكتشافه ، ولم يطل الأمر حتى أستخرجت و حملت الى السيارة ، في تلك اللحظة تبددت الغيوم وسطع القمر ، وشق ضوءه ذاك الظلام الكثيف وكأنه ينير الطريق أمامهم ، أخذت الجثة الى المشرحة وتم استدعاء الأطباء المختصين على الفور

للعمل عليها ، في صباح اليوم التالي كان المحقق حسام ينتظر بفارغ الصبر تقرير الطب الشرعي .

- (المحقق حسام) : هل تمكنت من الوصول الى زمن الوفاة بدقة ايها الطبيب ؟

- (الطبيب) : الجثة تتحلل في القبر بشكل مختلف عن تحللها في بيئة يملئها الهواء ايها المحقق ، لذا أعتقد بأن الفحص الدقيق سيظهر كم مضى على وفاة هذا الرجل .

- (المحقق حسام) : كم من الوقت يحتاج هذا التقرير .. أخبرني ؟

- (الطبيب) : سأعمل على تجهيزه خلال الساعات القادمة ، أعتقد بأنك ستكون قادراً على الإطلاع على نتيجته في هذا المساء يا بني .

- (المحقق حسام) : حسنا أشكرك سأذهب وابلغ السيد عماد بهذه الاخبار فهو ينتظر التقرير بفارغ الصبر .

- (السيد عماد) : ولكن كيف خطرت في بالك فكرة الصوت ايها المحقق؟ حقاً من أين جئت بها ؟ فلم تخطر على بال أحد قط .

- (المحقق حسام) : خطرت ليتلك الفكرة منذ مدة لكنني لم أكد متيقناً كفاية منها ، ولكن بلاغ الليلة الماضية قد قطع كل الشكوك حولها ، فلماذا لم يسمع صوت صراخ الضحية أحمد قبل صوت إطلاق النار ؟ يبدو بأن القاتل يتعمد اخافة ضحاياه وتعذيبهم قبل الإجهاز عليهم .. فلماذا لم يسمع ذلك في حالة الضحية الاولى ، ثم أنني أعرف ذاك الركن من المدينة جيداً فقد أمضيت طفولتي أسكن في مكان قريب منه ، وهو شبه مهجور ومعزول عن المدينة بسبب موقعه بين بنايتين قديمتين ، لذلك من المستحيل أن يسمع صوت اطلاق الرصاص في ذاك الموقع ، ربما حان الوقت لحل هذا اللغز سيدي الرئيس .

- (السيد عماد) : أحسنت ايها المحقق ، اذا فنحن الآن نتعامل مع بشر وليس روحاً او شبحاً .

- (المحقق حسام) : بالتأكيد سيدي ، لكن ما نتعامل معه أشد خطورة بكثير ، أنه ذكي ، وحاقد ، وغاضب جداً ، وهذا أخطر حتى من الأشباح .

ولم يطل الوقت حتى كان الطبيب يقف حاملاً تقرير الطب الشرعي امام مكتب السيد عماد ، وبدء الطبيب يقرأ ما انتظره المحقق حسام بفارغ الصبر ، فقد جاء في التقرير بأن الضحية قد بقيت جثته معرضة للهواء خمسة عشر ساعة تقريباً ، فأن كان قد دفن في الساعة الثانية عشرة نهاراً فهذا يعني بأن الضحية توفي في تمام الساعة التاسعة من الليلة التي تسبق الدفن ، وبهذا فقد كان استنتاج المحقق صحيحاً تماماً ، فما كان من السيد عماد إلّا أن أمسك بعنق الطبيب وصرخ في وجهه :

- لماذا لم تنتبهوا لذلك من قبل ؟ لماذا كان علينا الانتظار كل هذا الوقت لتعرفوا الحقيقة ؟ لو أنكم انتبهتم في ذلك اليوم لربما ما مات كل هؤلاء وما دفع صديقي فهمي حياته ثمناً لجنون هذا القاتل ..

- (الطبيب) : على مهلك يا سيدي فلا علاقة لي صدقني ، تقرير الطب الشرعي يطلب في حالة معرفة سبب الوفاة أو تحديد وقتها ، وفي حالة هذا الرجل فقد كان سبب الوفاة ووقتها واضحاً فكل المدينة كانت شاهدةً على وفاته ، لذلك لم يطلب منا تقرير بهذه الدقة ، وقد جهّزنا تقريراً عادياً مبنياً على شهادة الشهود والفحص الظاهري للجسد ، في الواقع طوال فترة خدمتي هنا و التي دامت قرابة العشر سنوات لم يطلب مني إعداد تقرير مفصّل بهذه الدقة .
وانزلقت يدا السيد عماد من على عنق الطبيب بصعوبة ، ومن ثم عاد الى مكتبه و على وجهه علامات الحزن والألم ، نعم لم يستطع إخفائها أكثر ، فما زالت ذكريات صديقه فهمي تلوح في مخيلته بالرغم من كل محاولاته لنسيانها او تناسيها ، لم يتماسك أكثر .. وسقطت دمعاته أخيراً بعدما تمسكت بعينيه طويلاً ، " أين أنت يا فهمي الآن ، أعدك .. لن يفلت مني قاتلك ، سأمسك به حتى لو كان أخر عمل لي في حياتي ، حتى وإن كلفني ذلك اللحاق بك، أعدك " ، أخذ المحقق والطبيب يحاولان التخفيف عن رئيسهما ، ولكن محاولاتهما لم تجد نفعاً ، بل وانتهت بكلمات باردة " لو سمحتم يا سادة .. غادروا المكتب واتركوني مع نفسي لبعض

الوقت " ، وانسحب الطبيب والمحقق ولا أحد منهما استطاع أن ينطق بكلمة ، المحقق حسام وقف في احدى الزوايا وقد تبادرت الى ذهنه الكثير من الأفكار المبعثرة ، هذا القاتل الذي يبحثون عنه .. أنه سبب ألم السيد عماد الآن ، وبالتأكيد سبب لآلآم كثيرة في كل بيت من هذه المدينة ، كيف لأحد أنّيحيا وهو على علم بأن كل هذه الدموع تذرف جرّاء ما أقترفت يداه !بل كيف لعينيه أن تنام ليلاً قريرة مرتاحة وكل هذه الآهات لا تنام ، بلا شك أن هذا القاتل قد تجرد من كل مشاعر البشر ، وقد تخلص من قلبه قبل أن يبدأ ، أنه لا يميز بين بشر وحجر ، نعم .. هو لم يرحم أحداً ، لذلك .. لا يستحق الرحمة ، لا يستحق إلّا الموت ، " فور ما أجد ذلك القاتل القذر سأقتله فوراً ، سأقتله وأخلص البشرية من شره ، أنتظرني فقط ، سأصل اليك قريباً .. " ، قاطع هذه الأفكار الطبيب وقد أمسك بيد المحقق وقال : " ايها المحقق .. أنت تنزف، تعال بسرعة لأسعفك "

- (المحقق) : ماذا ؟ أنزف ! ولكن ..

- (الطبيب) : تعال معي بسرعة ، يبدو بأنك تعاني من ارتفاع في ضغط الدم ، انظر الى وجهك فالدماء تنهمر من كل مكان .

وما أن وصلا الى عيادة القسم حتى أخذ الطبيب يمسح وجه المحقق بالقطن وسط صدمة حسام التي أخذت تتزايد شيئاً فشيئاً كلما رأى كمية الدماء التي نزفت من وجهه ، " ولكن كيف .. لم تمضي سوا ثوان معدودة استغرقتها في التفكير ، متى حصل كل هذا لي ! " بادره الطبيب " ايها المحقق .. لقد وقفت في تلك الزاوية لمدة تزيد عن ساعة ، ألم تنتبه الى ساعتك ؟ والأرضية تحتك تحولت لبقعة من الدماء! يبدو بأن هذه القضية قد أرهقتك كثيراً وعليك أن تستريح ، اذهب الى بيتك الآن وخذ بقية هذا اليوم أجازة لك ، حاول أن تريح أعصابك ولا تفكر في شيء حتى الغد " ، رد المحقق حسام بتحريك رأسه فقط بأنه موافق على نصيحة الطبيب ، ومن ثم انصرف خارجاً نحو منزله ، كانت طريقه مليئة بالأفكار ، حتى انه تجاوز مكان سكنه دون أن يشعر ، وبعدما عاود الوصول الى منزله أخذت الخيالات والأفكار تتدفق بكامل عنفوانها بلا

توقف الى عقله ، ما نوع نوبة الغضب التي أصابته اليوم ! كيف أمضى ساعة من الوقت واقفاً ينزف دون أن يشعر ؟ أهكذا يفعل الغضب بالبشر؟ وإن كان هذا هو تأثير الغضب على إنسان عاقل يطبّق القانون ، فما هو تأثيره على شخص مجنون كذاك القاتل ؟ لقد كانت نوبة غضب فقط .. فماذا ستفعل أقوى عاطفة بشرية في العالم (الحقد) به ، على الأرجح هذا الغضب من نفس النوع الذي أصاب القاتل الذي يتعاملون معهولكن بشكل أكبر بأضعاف ، " المهم اللآن .. كيف سأصل الى هذا القاتل ؟ وما علاقة مي ؟ " والكثير الكثير من الأسئلة المشابهة ، لكن سؤالاً واحداً استطاع شق طريقه من بين كل هذا الكم من الأسئلة الأخرى: " من سيكون التالي ؟ " ، سؤال وجيه حقاً ، من هو التالي على قائمة الشبح السوداء ؟ وهل سيكون هناك المزيد من الدموع والآلام هنا وهناك ؟ ولحقه جواب مقنع " علينا كشف سر كل الجرائم " نعم تلك هي الطريقة الوحيدة للوصول اليه .. لا شك بأنه ترك شيئاً سيقودنا إليه ، مفهوم الجريمة الكاملة لم يوجد أبداً ، ولا بد من خطأ إرتكبه في مكان ما ولم ينتبه إليه أحد .. لابد من ذلك ،وبعد ساعات من التفكير راح المحقق المنهك في نوم عميق.

****

- سيد عماد هناك بلاغ جديد ، المقبرة .. لقد أنفجرت (أحد عناصر الشرطة) .

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، اتصال من مركز الشرطة يوقظ المحقق حسام من نومه ، أنه السيد عماد :

- (السيد عماد) : أين أنت ايها المحقق ، أستيقظ بسرعة .. سآتي لأصطحابك فوراً .

- (المحقق) : ولكن ما الذي حصل ؟

- (السيد عماد) : انفجار هائل ، لابد أنه الشبح مجدداً ، لا وقت لأشرح لك هيا أنهض ..

وأغلق السيد عماد الخط وسط صدمة المحقق حسام الذي قفز سريعاً وتناول معطفه وانطلق نزولاً نحو الشارع ، وما هي الا بضع دقائق حتى كانت السيارة تقف بجانب الطريق ويطل منها السيد عماد مشيراً للمحقق أن يركب معه ، وانطلق الاثنان بلمح البصر.

كافح رجال الأطفاء النيران المستعرة لأكثر من ساعة حتى تمكنوا من أخمادها بالكامل ، وتلقى السيد عماد تقريراً مفصلاً عن الحادث ، وجاء فيه " أنه وبعد عدة أنفجارات مدوية فالنيران اشتعلت مباشرة و دون سابق انذار محولة المكان الى كتلة هائلة من اللهب ، مثل هذه الظاهرة تحدث فقط عند احتراق المواد سريعة الإشتعال ، وقد أبلغ المواطنون القريبون فوراً عن انفجارات قوية جداً ونيران عمت المقبرة وقد حضرت فرق الأطفاء فوراً وأخمدت الحريق بالكامل " ، المقبرة التي بقيت عنوناً للصمت المطلق ، نطقت تنادي النجدة ، وضع فيها ذلك الشبح قنابل ضخمة ، لدرجة أنها انتزعت بعض الجثث من قبورها عندما انفجرت ، إن كان هذا فعلها بما في باطن الأرض ، فتخيل ما فعلت بما فوق الأرض ، فلم يبقى شاهد قبر في مكانه ، بل لم يبقى في المقبرة كلها ، الكثير منها لم يعثر عليه ابداً ، بعضها عثر على أجزاء منه خارج أسوارها ، وقد تكفل الحريق بطمس كل شيء بعد ذلك ، واكتست المقبرة بسواد قاتم ، سواد مظلم أكثر من الليل نفسه ، ذلك الشيء يحمل حقداً لا يمكن تصوره .. وكأنه لم يكتفي بحرقهم فعاد ليحرقهم من جديد ، و وقف المحقق حسام مذعوراً من هول هذا المنظر ،

- (المحقق حسام) : المقبرة ! ولكن لماذا المقبرة ؟ ما الذي يريده ذلك الشبح من الأموات أيضاً !

- (السيد عماد) : لقد جن جنونه ..

- (المحقق حسام) : ماذا قلت ؟

- (السيد عماد) : يبدو بأنه عرف كل شيء ، عرف أننا أكتشفنا سره ، فأحرق ودمر المقبرة ، انظر حولك ايها المحقق ، لا يوجد قبر واحد للعائلة بقي على حاله ، لقد دمّرها كلها ، بعض القبور أصبح من المستحيل ايجادها الآن ، لقد فقد صوابه ، أرجو أن ضحيته التالية لن تتألم كثيراً ، لقد أثرنا غضبه .

- (المحقق حسام) : وماذا سنفعل الآن ؟ أليس هناك أي شاهد كالعادة ؟

- (السيد عماد) : كلا ، ليس هناك أحد يجرؤ على الأقتراب من المقبرة في وضح النهار ، فما بالك بها في منتصف الليل .

- (المحقق حسام) : ايهاالشرطي ، كيف فجّر الفاعل القنابل ؟

- (الشرطي) : يبدو بأنه جهاز تفجير قصير المدى سيدي .

ترددت تلك الكلمة في مسامع المحقق مراراً وتكراراً ، " قصير المدى.. اذا يريد أن يرى الأنفجار ، يا له من مجرم ، يبدو أنه يستمتع برؤية أفعاله الشنيعة " .

****

- (السيد عماد) : فيما تفكر يا حسام ؟ منذ أن عدنا وأنت لم تنطق بكلمة ، أخبرني هل لديك أي جديد ؟

- (المحقق حسام) : ما لدي قد لا يكون جديداً تماماً ، لكنني واثق من نجاحه ، الطريقة الوحيدة للوصول الى القاتل هي بكشف لغز كل جريمة من جرائمه سيدي .

- (السيد عماد) : تبدو واثقاً ، ولكن بماذا سيفيدنا هذا ؟

- (المحقق حسام) : ليس هناك جريمة كاملة، بالتأكيد هناك جزء مفقود .. حلقة ضائعة في كل جريمة ، لم ينتبه لها أحد ، وتلك التي ستقودنا الى القاتل الشبح .

- (السيد عماد) : أوافقك الرأي ، لكن علينا الحذر منذ الآن ، فقد رأيت ما حل بالمقبرة ، ولا نريد أن يتكرر هذا في أيّ مكان آخر .

- (المحقق حسام) : أفهم ذلك سيدي ، لكن قد يكون هذا في صالحنا ، فقدان الشبح لصوابه وتفجيره للمقبرة يعني أننا نسير في الاتجاه الصحيح ، لذلك علينا متابعة ما بدأناه .

- (السيد عماد) : اذا .. من أين سنبدء ؟

- (المحقق حسام) : من مسرح الجريمة الثانية .. أنه الديوان .

وانطلق الرجلان مباشرة نحو ديوان العائلة ، ذلك المبنى الذي نسفه القاتل الشبح وقتل الكثير ممن كانوا فيه ، وكان منهم المحقق فهمي ، وبالرغم من الذكريات المؤلمة لذلك المكان إلّا أن الواجب يستدعي زيارته مجدداً والنظر اليه والتمعن فيه بعمق ، بحثاً عن أي دليل منسي ، كان الديوان المدمر عبارة عن منزل للأشباح ، لقد أصبح مكاناً مهجوراً ، ولا أحد تجرئ على دخوله مجدداً بعد تلك الحادثة ، بنصف مدمر تماماً لم يوجد من يستطيع اصلاحه ، هنا في هذا المكان .. مات الكثيرون ، وأرواحهم التي رقدت بسلام في المقبرة ، قد تم ترويعها في الليلة الماضية بعدما دمرت قبورها ، ربما هي تطوف حول هذا المكان الآن ، فالرهبة تحفه من كل جانب ، وضوء الشروق لم يصله بعد ، دخل السيد عماد المبنى المدمر من احدى النوافذ ، فقد اغلق الباب الكبير بسبب السقف المنهار وتلاه المحقق حسام ، آثار الدماء ما زالت هنا ، وكل شيء كان هنا بقي على حاله ، كراسي و طاولات وبعض فناجين القهوة المحطمة ، كلها بقيت هنا ، أصحابها الذي جلسوا هنا طويلاً قد رحلوا منذ وقت بعيد ، وتركوها لتفترسها الوحدة والظلام ، وجد الرجلان الطريق نحو سطح الديوان بسهولة ، عبارة عن درج ضيق داخل المبنى يقود مباشرة الى السطح المغلق بباب حديدي ثقيل ، كان من السهل فتحه

فقد فتحه رجال الشرطة واستعملوه في انقاذ المصابين في ذلك اليوم، وعلى أرضية السطح وجدت قطرات دمائهم ، وما بقي من حطام خزانات المياه قد تناثر في كل أرجاءه ، و تحولت أرضيته الى اللون الأسود بفعل الانفجارالكبير.

- (السيد عماد) : لا عجب أنه دمر المبنى ،لقد كان انفجاراً عنيفاً حقاً.

- (المحقق حسام) : ذلك الشبح .. يا له من ذكي ..

- (السيد عماد) : هل قلت شيئاً ؟

- (المحقق حسام) : حجم الدمار هنا يدل على انفجار عظيم فعلاً ، وهذا يحتاج لكمية كبيرة جداً من الوقود ، وهذا يحتاج ايضاً الى عدّة سيارات لنقل هذه الكمية الضخمة ، ونقلها الشبح بكل هدوء ..ولم ينتبه اليه أحد.

- (السيد عماد) : ليس في كلامك أي جديد ايها المحقق .

- (المحقق حسام) : هيالنلقي نظرة أخيرة على الداخل .

وهبط الرجلان مرة أخرى الى داخل المبنى ، وهناك همس المحقق حسام في أذن رئيسه :

- (المحقق حسام) : عندما نخرج من هنا .. أبتسم وكأنك عرفت من الفاعل .

- (السيد عماد) : ماذا ؟ هل عرفت الفاعل حقا ؟ أخبرني بسرعة من هو ؟

- (المحقق حسام) : اخفض صوتك ، فقط أفعل ما طلبته منك وسأخبرك بكل شيء عندما نصل الى قسم الشرطة .

وخرج المحقق والسيد عماد من نفس النافذة كما دخلا ، وقد علت على وجوههما ابتسامة عريضة ، ومن ثم أسرعا نحو السيارة وانطلقا عائدين نحو قسم الشرطة .

- (السيد عماد) : والآن أخبرني لماذا جعلتني أبتسم ؟

- (المحقق حسام) : ذلك القاتل يراقبنا دائماً سيدي ، وإلّا فكيف عرف بأننا أكتشفنا أمره وحللنا لغز جريمة أحمد ؟ اذا كان يراقبنا في حينها فسيظن أننا وجدنا شيئاً هناك ، وسيجن جنونه الآن ، إن كانت أفكاري صحيحة فسيفعل شيئاً ما بخصوص الديوان ، لذا أريد أحداً ليراقب لنا الديوان فالقاتل بالتأكيد سيعود الى هناك وربما يفجره كما فعل بالمقبرة .

- (السيد عماد) : فكرة ذكية حقاً ، سأرسل بعض الرجال المتخفيين حالاً .

- (المحقق حسام) : على مهلك سيدي ، هو لا يتحرك إلا ليلاً .. أرسل الرجال بعد غروب الشمس ، وليكونوا على أهبة الاستعداد للأمساك به .

- (السيد عماد) : معك حق ، لا مشكلة .. علينا الانتظار فقط ، كم أتمنى أن نقبض عليه الليلة .

- (المحقق حسام) : سنفعل .. بأذن الله .

ومن ثم طلب المحقق حسام من السيد عماد أن يخبره عن تفاصيل ذلك اليوم المشؤوم حين فجر القاتل الديوان ، وراح الأخير يخبره بكافة التفاصيل وأدقّها ، أخبره عن تلك الولّاعة الملغومة ، وكيف نجى من ذلك الإنفجار بأعجوبة ، وكيف كان مشهد الدمار والدماء يعم المكان ، مضى الوقت سريعاً والسيد عماد يسرد ما جرى على مسامع المحقق حسام ، وسرعان ما غربت الشمس وتحركت فرقة المراقبة السرّية نحو الديوان المدمر ، وتمركزت داخله وأخذت تراقب المنطقة ، أما السيد عماد والمحقق حسام فقد بقيا في مركز الشرطة بجانب جهاز اللاسلكي وهما ينتظران بفارغ الصبر أيّة اشارة من الفرقة ، ولكن الإشارة تأخرت حتى نام الرجلان على الكراسي في مكتب السيد عماد ، وفي منتصف الليل تماماً ، جاءت الأشارة أخيراً ، لكن ليس من اللاسلكي بل من أحد عناصر الشرطة في القسم .

- (الشرطي) : سيدي لقد وردنا بلاغ الآن ، انفجار آخر ..

- (السيد عماد) : يا إلهي ما الذي يحصل ؟ وأين موقعه ؟

- (الشرطي) : الجزء الغربي من المدينة ، بالقرب من الضواحي ، أنه عنوان بيت (مراد) يا سيدي .

تبادل السيد عماد والمحقق حسام النظرات بذهول شديد ، فقد وقعت كلمات الشرطي عليهما كالصاعقة !وتلك الفرقة التي تنتظره في الديوان؟ لماذا لم يذهب الى هناك ؟ قفز السيد عماد والمحقق حسام من مكانيهما كالبرق ولكن السيد عماد أوقف المحقق وقال : " عليك البقاء هنا ومتابعة الفرقة المتخفية في الديوان ، لا نعلم ما الذي سيحصل الآن ، وسأطلعك على كل التطورات بالهاتف " وعاد المحقق حسام ليجلس امام اللاسلكي فيما انطلق السيد عماد ومعه رجال الشرطة والإطفاء بأقصى سرعة نحو العنوان ، نعم لقد كان منزل (مراد) صديق العائلة القديم والذي قتله ذلك الشبح رعباً ، كان عمود الدخان المتصاعد من المنزل المحترق مرتفعاً بما يكفي ليرشد رجال الشرطة الى موقعه من على بعد آلآف الامتار ، ويخبر بحجم تلك القنبلة التي وضعت في ذلك البيت ايضاً ، وهذا أوقع الرعب في قلوب رجال الشرطة ، ترى ما الذي سيجدونه الآن في ذلك المكان الذي على الأرجح أصبح منكوباً تماماً ، خلال عشر دقائق كانت سيارات الشرطة والاطفاء قد وصلت الى المنزل المحترق وبدأت تحاول اخماد الحريق الهائل المندلع فيه ، منظر شبيه تماماً بما حصل في الليلة الماضية في المقبرة ، يبدو أنه استخدم نفس النوع من القنابل شديدة الإنفجار ، بالإضافة الى مواد سريعة الإشتعال مثل الوقود ، موجة الصدمة التي انتجها الانفجار اقتلعت النوافذ والباب فوراً ، و هدمت جزءاً من الجدار الأمامي للمنزل "لقد فقد الشبح صوابه حقاً ، بل وربما أكثر من ذلك" هذه الكلمات التي تمتم بها السيد عماد وهو يقف بصمت امام هذا الجحيم المستعر ، ثم أصدر أمراً لفرقة تفكيك المتفجرات بالإستعداد لأيّ طارئ وأمر بأغلاق المنطقة بالكامل وحظر التجوال فيها حتى ينتهي تفتيشها بدقة ، ومن ثم سحب هاتفه النقال واتصل فوراً بالمحقق حسام في قسم الشرطة ، وطلب منه أن يعطي الأمر للفرقة السرية المتخفية في الديوان بالإنسحاب باقصى سرعة وبحذر شديد ، وعلى الفور أمسك المحقق بالجهاز اللاسلكي و نادى :"الى عناصر القوة السرية في الديوان ، أخلوا المكان فوراً ، أخلوا المكان " ، ولكن ما من

إجابة ، فعاد المحقق وكرر كلماته مرة أخرى ، ومن جديد لم توجد أيّة أجابة ، وعاد المحقق يكرر ندائه مرة تلو أخرى ولا أحد يجيب ، فألقى اللاسلكي من يده وصرخ في هاتفه :" سيدي الفرقة لا تستجيب " وفقد السيد عماد صوابه بالكامل ومن ثم صرخ في وجه المحقق حسام :" خذ فرقة من الرجال وانطلق نحوهم بسرعة ، إنهم في خطر يا حسام" وعلى الفور تحركت قوة أخرى من الشرطة يتقدمهم المحقق حسام نحو الديوان المهجور ، ومن ثم بادر بإقتحام المبنى بسرعة ليتفقد المجموعة ، ومن أول نظرة .. سقط المحقق حسام الى الخلف وقد ارتعشت اطرافه وشلت حركته ، ظهر جلياً سبب ذلك الصمت اللاسلكي ، فعناصر الفرقة جميعهم .. قتلى ، ولا أحد منهم حي ليجيب على نداء المحقق ، جميعهم قتلوا بنفس السلاح ، أنها تلك الخناجر الحادة ، لا أحد منهم أطلق من سلاحه رصاصة واحدة ، ولا حتى استطاعوا طلب المساعدة عبر اللاسلكي ،أيّن كان ما حل بهم هنا ، فقد حصل بلمح البصر ، فرقة مدربة ومجهزّة بأحدث التجهيزات القتالية ، ثمانية رجال من نخبة رجال الشرطة ، كلهم موتى على الأرض ، ضربتان في ليلة واحدة ، وفي وقت واحد ، وباتجاهين مختلفين ، هذا مستحيل .. كيف له أن يفعل ذلك ، هذا دفع المحقق حسام ليعيد التفكير في كونه بشراً ، فما يفعله ذلك الشيء ليس آدمياً أبداً " لقد أرسلنا قواتنا نحو الموت مباشرة في هذا الفخ ، بدل أن يكون فخ له.. لقد كان فخ لنا ، لا أصدق .. هذا مستحيل ،يا لغبائي .. " (المحقق حسام)

- (السيد عماد) : ما الأخبار عندك يا حسام ؟ أجب .

- (المحقق حسام) : الفرقة يا سيدي .. لقد قتلت .

سقط السيد عماد على ركبتيه من هول الصدمة ، ما هذا ، جريمتان في ليلة واحدة وفي مكانين مختلفين وفي نفس التوقيت ايضاً ، لقد وصلت هذه القضية الى نهاية مسدودة تماماً ، كيف يوقف هذا الشيء ؟

****

في صباح اليوم التالي تم إعلان الحداد على أرواح عناصر الفرقة الذين قضوا في الديوان ، كان حجم الضجة الإعلامية كبيراً، وتحول القاتل الشبح بجديّة الى اسطورة كبيرة ، وبدأ الكثيرون بالتسليم بقدراته الخارقة ، وأنه ليس بشراً بل شبح قادم لينتقم ، وبدأ البعض بالحديث عن قتل كل أفراد العائلة ليتوقف مسلسل الدمار هذا ، ربما تلك هي الطريقة الوحيدة ليعود ذلك الشيء من حيث جاء ، ليعود الى الجحيم حيث ينتمي ، المدينة تحولت لساحة حرب ، ومن يدري ما الذي سينفجر أو يحترق بعد ذلك ، ووسط كل هذا الضجيج تلقى السيد عماد اتصالاً ، انه الوزير :

- (الوزير) :ما الذي تفعله برجالي يا عماد ؟ انا أحذرك ايها المتهور ، إن سقط من رجال الشرطة شخص آخر فسأحيلك للتقاعد فوراً ، بل سأقدمك للمحاكمة ايضاً، لقد أصبح العالم كله يعرف ما يجري في المدينة ، وأنت لم تمسك بذلك المجرم بعد ؟

تنهد السيد عماد بشدة ثم رد " سنمسك به قريباً سيدي ، أعدك بذلك "

ومن دون أي مقدمات أغلق الوزير الخط ، وحطم السيد عماد الهاتف ..

- فعلت كل ما بوسعي للإمساك به ، ما علاقتي انا لأتلقّى هذه المعاملة ، انا لم أشارك أولئك الحمقى بأفعالهم الإجرامية ، لماذا لم يصدر أمر بالقبض عليهم سابقاً قبل أن يحصل ما يحصل . (السيد عماد)

- (المحقق حسام) : هدئّ من غضبك سيدي ، فأنا أتحمل المسؤولية في موت رجال الشرطة الثمانية ، انا من أقترح أن نرسلهم الى هناك ، وانا مستعد لتقديم أستقالتي فوراً .

- (السيد عماد) : لا يا حسام فكلنا نتحمل المسؤولية ، لم نقدّر قدراته جيداً ، وبدلاً من تقديم إستقالتك علينا الآن التفكير بالامساك به بجدية أكبر ، ألم تسمعني حين وعدت الوزير بالامساك به قريباً ؟

- (المحقق حسام) : بلى سيدي لقد سمعت ، اذا لنعد الى التحقيق فوراً.
- (السيد عماد) : اذا فوجهتنا هي منزل مراد ، أريد منك الإطلع على ما جرى فيه لتخبرني بأستنتاجاتك .

وبعد عشر دقائق من القيادة وصل السيد عماد والمحقق حسام الى المنزل المدمر ، والذي أعلن منطقة مغلقة بالكامل ، وبدأت المعاينة .

- لحسن الحظ فقد تم انقاذ بعض المحتويات الشخصية لصاحب المنزل حيث كانت محفوظة بعيداً عن متناول النيران (أحد عناصر الشرطة) .

- (المحقق حسام) : لماذا ؟

- (السيد عماد) : سؤالك في مكانه .

- (المحقق حسام) : هل يعتقد بأن مراد ما زال حياً ؟

- (السيد عماد) : من المستحيل ذلك ، فمنزله مهجور منذ فترة .

- (المحقق حسام) : اذا لماذا يدمر منزله ؟ إلّا اذا ..

- (السيد عماد) : إلا اذا ماذا ؟ هيا أكمل .

- (المحقق حسام) : إلا اذا أراد تدمير مسرح جريمة ما هنا ، هناك شيء هنا لا يريدنا أن نصل إليه .

- (السيد عماد) : افتراض مقبول جداً ، لكن لا تنسى بأن صاحب هذا المنزل قتله ذلك الشبح رعباً ، أنه لمن المخيف التفكير في هذا .

- (المحقق حسام) : حسناً ما الذي سنفعله الآن ؟ هل من شهود ؟ هل رآى أحدُ أي شخص يقترب من المنزل ؟

- (السيد عماد) : كالعادة .. لا أحد لمح ظله .

- (المحقق حسام) : اذا ما رأيك أن نلقي نظرة على المنزل من الداخل .

- (السيد عماد) : موافق ، هيا بنا .

دخل الرجلان المنزل الذي بدى وكأن مليون قنبلة قد أنفجرت فيه ، لقد دمر الأنفجار كل شيء في صالة المنزل ، وتكفل اللهيب الحارق بتحويلها الى اللون الأسود القاتم ، لقد وضع المجرم أكبر قنابله هنا ، تماماً في منتصف الصالة ، حيث أحدث الانفجار حفرة كبيرة في ارضية المنزل ، لم يتمكن رجال الأطفاء من انقاذ شيء هنا ، كل شيء كان في هذه المساحة الضيّقة قد تحول الى رماد ، أمّا بالنسبة لبقية الشقة فقد كان الوضع أفضل حالاً ، على الأقل لم تطمس معالم الغرف الأخرى مثلما حصل في الصالة ، ونجت بعض الغرف الأبعد عنها .

- (السيد عماد) : ما الذي تم أنقاذه من الحاجيات الشخصية ؟

- (أحد عناصر الشرطة) : هناك عدة اشياء سيدي وقد كانت في الغرفة الأبعد عن النيران ، وهي : هاتف صاحب المنزل ، حاسوبه الشخصي ، وثائق أثبات الشخصية ، بضعة أقلام ، بالأضافة الى كتيّب صغير ، يبدو بأنه دفتر مذكرات.

لمعت عينا المحقق حسام والسيد عماد وصرخاً معا " وأين هو ؟ " .

- (الشرطي) : تفضل يا سيدي هذا هو .

ألتقط السيد عماد الدفتر وفتحه فوراً ، كانت تبدو عليه علامات القدم ، النار لامست أطرافه وحولتها الى رماد ، بعض الصفحات ممزقة أيضاً ، لكن بالمجمل فهذا الدفتر يحتوي على الكثير من المعلومات التي يحتاجونها ، لربما ليس في حل هذه القضية فقط ، بل في إدانة أفراد العائلة في قاعة المحكمة ايضاً ، فهذا يعد اعترافاً صريحاً من شخص شاركهم أفعالهم الدنيئة ، صعد المحقق حسام والسيد عماد الى السيارة وأخذا بتقليب صفحات الدفتر وقراءة محتوياته ، تقريباً كل ما أعترف به مراد من جرائم كان قد كتب هنا ، وكتب بأدق التفاصيل أيضاً ، ويا للمفاجئة ، فقد أجاب مراد الميت منذ أكثر مدة عن سؤال أرّق رجال الشرطة طويلاً " من هو الضحية التالية " ففي المذكرات كتب مراد أسماء كل الأشخاص الذي شاركوا في سلسلة جرائم العائلة الطويلة ، وبلا شك فكلهم أهداف لذلك المجرم ، بقي فقط أن يعرف من منهم قد

قضى ومن منهم ما زال على قيد الحياة " لروحك الرحمة يا مراد " (السيد عماد) .

أخذ المحقق حسام ورقة وقلماً وبدأ يدوّن أسماء الأشخاص الذين كتبت أسمائهم في تلك المذكرات ، وأثناء بحثه فيها وجد أسماء الكثير من ضحايا ذلك القاتل ، وأسم (تيسير) كان صاحب الحضور الأكبر فيها ، حتى أن مراد كتب في إحدى الصفحات عنه بأنه (المجرم الأكبر) " يا إلهي ما هؤلاء ، وكأنهم قطيع من الذئاب فعلاً " وتوآلت الصفحات والصدمات ، فكل صفحة تحوي جريمة أخرى أسوء من سابقتها ، سرقات لمتاجر ، أعتداءات ، خطف وتهديد وأبتزاز ، حرق ، مطاردات ، وكأن هذا الدفتر سجل إجرامي تابع لأحد مراكز الشرطة ، مراد لم يكتب التاريخ على أي صفحة من صفحات الدفتر ، و على ما يبدو فهو لم يكتب ذكرياته الإجرامية بأنتظام أيضاً ، بل كان يكتب عنواناً ورقماً في أعلى الصفحة ، على ما يبدو بأنه أعطى لكل جريمة رقماً ، وتوالت الأرقام وتزايدت لأكثر من خمسين جريمة مكتوبة في هذا الدفتر ، جميعها كتبها مراد بأدق تفاصيلها ، بعد ساعة تقريبا أنهى المحقق حسام كتابة الأسماء من الدفتر وقد تأكد بأنه كتب كل الأسماء التي وجدت فيه ، ومن ثم استدعى أحد عناصر الشرطة وناوله الورقة التي حوت على أسماء أكثر من خمسة وعشرين فرداً وطلب منه كل المعلومات الممكنة عنهم ، ومن منهم بقي حياً ، أخذ الشرطي الورقة وأنصرف ، وعاد المحقق والسيد عماد الى قسم الشرطة معاً وفي طريقهما تبادلا الحديث عن تلك المذكرات .

- (السيد عماد) : هل تعتقد بأنها ستفيدنا في الأمساك بالقاتل ؟

- (المحقق حسام) : أرجو ذلك ، كما أرجو أن تساعدنا في منعه من إرتكاب المزيد من الجرائم .

- (السيد عماد) : وكيف ذلك ؟

- (المحقق حسام) : أعتقد بأن كل من كتبت أسمائهم في هذه المذكرات على قائمة الشبح السوداء ، لذا لو عرفنا من بقي منهم حياً فقد نتمكن من حمايتهم .

- (السيد عماد) : أتذكر الورقة التي كتبها مراد قبل وفاته ؟ تلك التي كتب فيها أسماء بعض من شارك معهم في جرائم العائلة ؟

- (المحقق حسام) : نعم سيدي أذكرها ، ولكن لماذا تسال ؟

- (السيد عماد) : لقد قمنا بأجراء بحث مفصل عن الأسماء التي كتبها مراد فيها ، ولكن للأسف كلهم كانوا قد قتلوا حينها ، فهل تتوقع أن تجد شيئاً مختلفاً الآن ؟

- (المحقق حسام) : حقاً لا أعرف ، ولكن من كل قلبي أتمنى ذلك .

لم يطل الأنتظار حتى كان التقرير المنشود على مكتب السيد عماد ، تقرير حول أكثر من خمسة وعشرين فرداً من نفس العائلة ، كلهم بلا استثناء .. قتلى في حوادث منفصلة لنفس القاتل ، وهذا أعاد كل شيء نحو نقطة البداية ، ربما ليس هذا الدفتر ما أراد القاتل إخفائه عندما فجّر المنزل ، ولربما لم يرد أخفاء شيء وفجره لهدف آخر ، كلها افتراضات ممكنة ، ولكن في النهاية فقد نجح في ادخال الجميع في دوامات لا تنتهي وخلط أوراق القضية بالكامل ، وعلاوة على كل هذا بقي يصنف ضمن دائرة المجهول ، أكبر سؤال يراود الجميع هو كيف ينتقل بهذه الخفة .. دون أن يلمحه أحد ، بل وينقل معه قنابل كبيرة جداً دون أن يلاحظ أحد ذلك ! كيف يفعل كل هذا ؟

- (السيد عماد) : اذا فقد عدنا الى البداية مجدداً ، هل لديك أيّ افكار ؟

- (المحقق حسام) : أعتقد أنها نفذت ، لكنني اراجع الدفتر مجدداً لعلي أجد شيئاً مفيداً .

وعن طريق الصدفة فتح المحقق حسام الدفتر على صفحة قد تمزق قسم كبير منها ، الجزء المتبقي منها حوى على بضعة جمل ناقصة ستغير معالم القضية بالكامل ، أشار المحقق للسيد عماد ليقرأ ما كتب فيها .

" ما يبدء في الظلام عليه العودة .. " وفي السطر التالي جملة أخرى " دفنتها عند النهر في الغابة .. " وتلك الجملة ناقصة ايضاً ، لكنهما قرأ ما يكفي ليفهما الأمر ، هناك ما تم اخفائه في الغابة ، ربما لم يقتل الشبح كل من إقترب من الغابة عبثاً ، ولكن أين ذلك النهر ؟ وما الذي دفنه مراد هناك ؟ يبدو أن ما كتب هنا يحتاج الى مهمة استكشاف الى عمق الغابة ، ولا أحد منهما يعرف ما نوع ذلك الشيء الذي دفن هناك ، نظر المحقق والضابط لبعضهما ، وقد خطرت في بالهما نفس الفكرة ، هذه القضية تحتاج لمغامرة كهذه بلا شك لتحلّ كل شيء ، ولكن السيد عماد اقترح الذهاب بمفرده .

- (المحقق حسام) : ما الذي تنوي فعله يا سيدي ، ذلك الشيء لم تستطع فرقة مسلحة ومدربة التصدي له ، قد لا تعود من هناك ابداً إن ذهبت وحدك.

- (السيد عماد) : لا أريد أن يموت أحد اخر من رجالي على يد ذلك المجرم يا حسام ، أفضل دفع حياتي ثمناً لهذا القرار .

- (المحقق حسام) : اذا اسمح لي أن اذهب معك ، انا وانت فقط ، ستحتاج لمن يساعدك هناك .

- (السيد عماد) : حسنا لك ذلك ، هيا فلنتحرك الآن ، لعلنا نعود قبل غروب الشمس .

- (المحقق حسام) : انا مستعد ، لننطلق .. يمكنك انتظاري في السيارة سآتي حالاً .

- (السيد عماد) : موافق .

ووضع السيد عماد جهاز اللاسلكي الخاص به وهاتفه على المكتب وقال موجهاً كلامه الى المحقق : " إياك أن تحمل معك هاتفك أو جهازاً يمكن تحديد مواقعه " ، من ثم توجه نحو سيارته حاملاً مسدسه فقط ، كان واضحاً بأنه لا يريد لأحد أن يتبعه كي لا يعرض حياة رجاله للخطر مجدداً

، ولم يطل انتظاره في السيارة حتى تبعه المحقق حسام وركب بجانبه وانطلق البطلان نحو الغابة مباشرةً .

وبعد ما يقارب الساعتين من القيادة أوصلتهما السيارة الى أطراف الغابة الشرقية، لكن بالتأكيد لا يوجد أي نهر هنا ، لذا قررا التقدم أكثر وأكثر في الغابة بواسطة السيارة ، ومضت الدقائق بسرعة كبيرة وهما يبحثان عن هدفهما في الغابة الواسعة وقد اطبق الصمت عليهما تماماً ، وبعد اقتراب الشمس من مغيبها وجدا اخيراً نهراً صغيراً يقطع الغابة ، فأوقف السيد عماد سيارته وترجل منها وتقدم بهدوء وتبعه المحقق حسام .

- (السيد عماد) : هل تعتقد ان هذا هو النهر المقصود ؟

- (المحقق حسام) : نعم .. أعتقد ذلك ، لنبحث في الجوار .

وبدأت عملية البحث بسرعة على كلتا ضفتي النهر ، المشكلة الوحيدة أن الرجلين لا يعرفان عما يبحثان تماماً ، لكنهما متفقان على أن هناك ما هو مدفون هنا ويجب اكتشافه ، فقد يعتمد حل هذه القضية الشائكة عليه.

- (السيد عماد) : حسام تعال الى هنا ، أعتقد أنني وجدت شيئاً ..

- (المحقق حسام) : أرني ما الذي وجدته .

- (السيد عماد) : انظر الى هذه البقعة من الأرض ، لا تغطيها الأعشاب دوناً عن ما حولها .

- (المحقق حسام) : غريب ، لكنها تبدو حديثة ايضاً ، المفترض أن مراد دفن شيئاً هنا منذ وقت طويل وليس منذ الأمس.

- (السيد عماد) : معك حق ، على كل حال من يدري لعل هذا هو المكان

- (المحقق حسام) : ألديك شيء لنحفر به ؟

- (السيد عماد) : المعاول في صندوق السيارة الخلفي ، هيا لنحضرها.

وبدأت عملية الحفر في تلك البقعة الصغيرة بالقرب من النهر ، وقد تأكد السيد عماد من أن هذه البقعة قد حفرت منذ وقت ليس بالبعيد ، وما هي

إلا ثوانٍ اخرى حتى قطعت كل شكوكهما بيقين تام ، فقد اصطدم المعول بشيء لامع ، انها جوهرة لامعة ، مد المحقق حسام يده وامسك بها وسط تعجب شديد ، وسرعان ما تحول ذلك التعجب الى الرعب حين سحبها وخرجت معها يد فتاة من تحت الأرض ، مفاجئة قذفت الرجلين عدة امتار نحو الخلف، تلك الجوهرة لم تكن حجراً كريماً ولا مجوهرات مسروقة كما ظنّا ، تلك كانت خاتماً .. دفن مع صاحبته في هذه البقعة .

- (السيد عماد) : يا إلهي انها جثة أخرى ، ومن المسؤول عنها الآن ، فمراد مات منذ زمن .

- (المحقق حسام) : مراد لم يقتل هذه المرأة ، شكل اليد يدل على انها ماتت حديثاً ، ربما منذ عدة ايام فقط ، لكن كيف كتب مراد عنها في مذكراته ؟ إلّا إن كان يتنبئ بالمستقبل !

- (السيد عماد) : او لربما كان يعرف أنها ستقتل في هذا التوقيت ، علينا اعادة دفنها جيداً ومن ثم سنخرج من هنا فوراً .

وسارع الرجلان لجرف التراب وإلقائه مرة أخرى على الجثة حتى دفناها تماماً واعادا كل شيء كما كان ، كانت الشمس قد شارفت على المغيب .

- (السيد عماد) : حسناً أعتقد أننا أنهينا جولتنا هنا ، هيا فلنعد من حيث أتينا .

- (المحقق حسام) : أوافقك الرأي .

وعاد الرجلان وركبا السيارة ، ومن ثم أدار السيد عماد المحرك وحاول تحريكها للخلف ليعود أدراجه ويخرج من هذه الغابة الموحشة ، ولكن السيارة أبت أن تتحرك ، وبقيت متشبثة بالأرض وكأن هناك من يمسكها بقوة جبّارة ، واستمر المحرك يكافح ويكافح محاولاً تحريكها حتى توقف هو أيضاً عن العمل وبعث الدخان في كل مكان ، وتصلبت السيارة في موقعها وكأنها أحدى أشجار الغابة التي ترفض مغادرة أرضها.

- (المحقق حسام) : ما الذي حصل للسيارة ؟ ولماذا الرائحة هنا كالمستشفيات .

- (السيد عماد) : لا أعرف ، تعال لننزل ونلقي نظرة .

وما إن نزلا حتى بات واضحاً سبب تعطل السيارة ، فعجلاتها الأربعة قد أفرغت من الهواء ، وعلى ضوء المصباح ظهرت بوضوح ثقوب في الأطارت ناتجة عن عيارات نارية ، يبدو بأنها ثقبت بواسطة مسدس مزودٍ بكاتمٍ للصوت ، تبادل الاثنان النظرات وقد علت عليهما نظرة خوف واضحة ..

- (السيد عماد) : لا أصدق ، من فعل هذا بالعجلات ؟

- (المحقق حسام) : بل قل ماذا سيفعل بنا من فعل هذا بالعجلات !

- (السيد عماد) : لا تخفني يا حسام أرجوك ، نحن وحيدان وتائهان في غابة نائية ومظلمة ، لا أعتقد بأن الوقت مناسب للمزاح .

- (المحقق حسام) : للأسف انا لا أمزح ، ذلك الشيء .. لقد تبعنا الى هنا ، أو لربما .. أحضرنا بنفسه الى هنا ، وأيّن يكن .. يبدو أنه لا يريد منا أن نغادر ، علينا أن نكون حذرين، هذا الشيء بالتأكيد ليس لديه نوايا حسنة بالنسبة لنا ، ولا أعرف ما الذي ينوي فعله بنا الآن ، نحن لسنا إلا لعبة بين براثنه ، يا إلهي .. أرجوك أنقذنا .

- (السيد عماد) : كفى هراءً ايها المحقق ، لديّحل ، نحن مضطّرون الى الإنتظار حتى الصباح ، لن توصلنا أقدامنا الى بر الأمان ، لذا فلنقضي ليلتنا داخل السيارة حتى الغد ، هي المكان الوحيد الآمن في هذه الغابة الموحشة ، ستحمينا على الأقل من الذئاب والضباع ووحوش الليل الضالة ، لنعد للسيارة فالمطر بدء بالتساقط هيا .

وعاد المحقق والسيد عماد الى السيارة وأغلقا النوافذ وجلسا يقضيان الليل الذي أصبح طويلاً جداً ، كل ثانية تمر وكأنها سنوات ، وكأن الوقت توقف عن الحركة فجأة ، وصارت عقارب الساعة أبطئ وأبطئ ، بدأ انهمار المطر يشتد وصوت الرعد الهائل يدوّي المرة تلو المرة ، وأظلمت السماء بغيوم سوداء قاتمة أخفت كل ما بقي من ضوء القمر ، غرقت السيارة في ظلام دامس ، وغرق المحقق حسام في تفكيره مجدداً

مستذكراً حادثة أفزعترجال الشرطة والعائلة والمدينة بأكملها ، خطرت على باله أشكال الرجال العشرة الذين جاءوا الى هنا في ليلة كهذه الليلة ، وتاهوا هنا كما نحن تائهون الآن ، ومن ثم لم يعد منهم أحد حياً ، وكيف مزق أجسادهم ذلك الشبح بلا رحمة ، ونثر بقاياهم على طول الغابة الكبيرة ، ونهشتهم الحيوانات المفترسة هنا ، هم الآن مفقودون الى الأبد في عالمنا ، فقد ضاعت جثثهم بين مخالب قاتل لا يرحم ، وبين فكي ذئب جائع ، ترى هل رأوا شكله ؟ هل نظر إليهم بتلك العينين الجهنميتين ، على الأرجح نعم ، فشعرهم تحول الى البياض تماماً قبل موتهم ، أحدهم ظل يصرخ حتى الموت ، وقد مات فاتحاً فمه على مصراعيه ، " يا إلهي .. أرجو أن لا يفعل بنا ذلك المتوحش شيئاً مماثلاً ،وماذا عن الجثة التي وجدناها اليوم ، يا ترى جثة من هذه ؟ وكيف قتلت ؟ وكيف عرف بها مراد قبل أن تموت اصلا ؟ " و دون أن يشعر .. راح المحقق والسيد عماد في نوم مفاجئ خيّم عليهما بلا سابق إنذار .

إستيقظ الرجلان في مكانٍ مختلف تماماً عن الذي كانا فيه ، معلقين من أقدامها بالسقف بواسطة حبال قوية ، لم يطل الأمر حتى تتضح الصورة أمام عينيهما ، كهف عميق تضيئه مشاعل كثيرة مثبتة على الجدران ، بالرغم من كثرتها إلّا أنّ المكان ما زال مظلماً ، وكان من السهل التمييز أنه معقل الشر ، من هنا بدأ أكبر إنتقامٍ في التاريخ ، من هنا .. خرج ذلك الشيء، والى هنا .. ينتمي ، هذا هو مسقط رأسه ، ويبدو أنه ما زال هنا ، ربما هذا هو سبب الشعور الرهيب بالرعب والذي يلف المكان بأكمله ، نظر الرجلان لبعضهما وقد علقا رأساً على عقب وحاولاً إيجاد طريقة لفك هذه الحبال التي تقيدهما والنزول الى الأرض ، ولكن الأمر لم يطل حتى كسر الصمتالذي يخيم على المكان ، ونطق ..

- أخطأتما بالقدوم الى هنا .. أليس كذلك ؟

وعلى الفور التفت السيد عماد والمحقق حسام نحو صاحب الصوت والذي خرج من إحدى الزوايا المظلمة من الكهف ، أنه هو .. بلا أي ستار ، أنه أمام عينيهما ، جسد تلفه سلاسل ضخمة من أسفل قدميه وحتى كتفيه ، مخالب سوداء كل واحد منها طويل بما فيه الكفاية لإنتزاع

قلب أي شخص من جسده في أقل من ثانية ، وجه .. أكثر من مرعب ، أسود ملطخ بالدماء ، وبكل وضوح بدت عيناه الأسطورية وكأنها نار هائلة ، تلك العيون الحمراء بلا شك قتلت الكثيرين لشدة رعبها ، تنطبق عليه كلمة شبح تماماً ، ربما اختار هذا القاتل الليل ميداناً لجرائمه رحمة بضحاياه ليس إلّا ، فمنظره هذا .. يكفي لقتل أي شخص ينظر إليه رعباً ، ودون سابق أنذار وقبل أن ينطق الرجلان اللذان عقدت ألسنتهما ، سحب الشبح مخالبه وقفز نحوهما بحركة خاطفة ، فما كان منهما إلا أن صرخا وأغمضا عينيهما ظناً منهما أنها النهاية ، لكن الشبح لم يقتلهما وأنما قطع الحبال بضربة واحدة من مخالبه القاطعة ، وأسقطهما أرضاً ليركعا تحت قدميه .

- حذرتك ايها الضابط من هذا اليوم ، وهاهو قد أتى .

- (السيد عماد) : واجبي أن أقضي على المجرمين أمثالك ، وسأقوم بعملي هذا حتى وأن دفعت حياتي ثمناً له .

- اذا ستدفعها قريباً .. فلا أحد وصل الى هنا وخرج حياً .

تجمد الدم في عروق السيد عماد بعد هذه الكلمات، لكنه استجمع شجاعته مجدداً ووجه كلامه للشبح :

- (السيد عماد) : اذا فأنت من دفن تلك الجثة هناك ، أليس كذلك ؟

- "عرفت اكثر مما يجب ، ولم تعرف أن ما يبدء في الظلام عليه العودة إليه ، فاحضرتها الى هنا وقتلتها ، ومن ثم دفنتها عند النهر في الغابة وشكرتها ،فلولا اصطحابها للطفلة في ذلك اليوم لما كتب لخطتي النجاح"

- (المحقق حسام) : النص الكامل ،هل تعني أن ..

- شكراً .. على إعادة مذكراتي معكما .

صدم المحقق بهذا الكلام وقال بصوت متردد : " مذكراتك ؟ .. لكن .. لكن .. لكنها مذكرات مراد "

- ومنذ متى تذكر الذئاب ما أكلت عند جوعها ؟

- (المحقق حسام) : ماذا ؟

- المجرمون لا يدونون شيئا من أفعالهم.. أقصد جرائمهم ايها المحقق ، ومراد لم يكتب مذكرات في حياته مطلقاً ، تلك كانت مذكراتي انا، وانا من وضعتها في مكانها ، وقد تبعتموها انتم بحذافيرها ،تماماً كما خططت.. أفهمت الآن كيف وصلتما الى هنا ..

لم يستطع المحقق حسام النطق بكلمة واحدة في وجه هذه المفاجئة ، " لقد كان يتلاعب بنا طيلة الوقت ، نعم .. كنا فئران تجارب بين يديه ، يحركنا كيف ما يشاء ، ومتى ما أراد التخلص منا .. فهو قادر على ذلك ، يا لغبائي ، سنلقا حدفنا بسبب هذه المفاجئة " .

- (السيد عماد) : اذا فتلك المدفونة هناك .. أنها مي .

- ذكي كما عرفتك.

- (السيد عماد) : أنت .. أنت من المستحيل أن تكون بشراً ؟ فمن أنت ؟ أعترف لك .. لقد تغلبت علينا جميعاً .

- كلا ايها الضابط ، أنا بشر ، لكن ربما لست مثلكم .

- (السيد عماد) : أن كنت بشراً حقاً .. فأخلع هذا القناع الذي يغطي وجهك .

ومن دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، حرك الشبح يده نحو وجهه ونزع قناعه، ليبدو من خلف القناع وجهٌ .. صدم السيد عماد والمحقق حسام بهذا الوجه ، هذا .. مستحيل ، هذه كذبة ، لا بد وأنه حلم ، كل هذا الدمار .. سببه أنت ؟

- (السيد عماد) : لا أصدق ذلك .. هذا .. هذا غير معقول .

- (المحقق حسام) : لا بد وأنني أحلم ، أنت لا يمكن أن تكون هو ، لا .. لا أصدق ، أنها خدعة بالتأكيد .

وجاءت المفاجئة الكبرى من خلف القناع ، هذا القاتل الذي يقف أمامهما ، والذي قتل العشرات ، ولم يستطع أحد مجاراة ذكائه الخارق و تخطيطه العبقري ، كان .. فتاة ، فاتنة الجمال ، بوجه يضيء كالقمر ، و بعيون تحني الورود خجلاً ، وبنظرة غرّاء ، لم يوجد لها مثيل ، هذه الملاك البريئة .. من الصعب التصديق .. بل من المستحيل .. أن تكون سبب كل هذا الموت ، وجهها الأبيض أنار الكهف المعتم بأكمله ، ونزع تلك الأطياف الشريرة التي كانت تحوم في أجوائه ، وبعث في نفس المحقق والضابط شعوراً بالطمأنينة والسلام .

- نعم يا سادة ، القاتل الشبح .. هو أنا .

- (المحقق حسام) : لا يمكن .. لا أصدق .. هل ترى ما أراه ؟

- (السيد عماد) : لا أستطيع تصديق عيناي .. ولكن كيف ؟ وكل تلك الأساطير والشائعات ؟ هذا لا يصدق أبداً ! لا بد وأنكِ شبح لتلك المرأة التي قتلها أفراد العائلة كما روت الأسطورة ..

- لا يا حضرة الضابط فالموتى لا يعودون الى الحياة ، وليس هناك وجود لأشباحهم أيضاً ، تلك كانت .. أمي .

- (السيد عماد) : ما الذي قلتيه ؟ أمك ؟

- نعم ، تلك كانت أمي ، القصة صحيحة ، فقد قتلوا أمي وأبي أمام عيني ، وصوت البكاء ذاك الذي سمع من منزلنا الصغير ، كان صوت بكاء تلك الطفلة التي لم تكمل الخامسة من العمر ، تلك هي .. أنا .

لم يستطع السيد عماد النطق بكلمة واحدة أمام هذا الأنفجار الهائل من مشاعر الألم التي أجتاحته ، لم يخطر في باله أبداً بأن القاتل الذي يبحثون عنه هو فتاة قتلوا أمها بالرصاص و والدها حرقاً ، وفاجأه أكثر تلك الدموع التي تنهمر من عينيها .

- قل لي ما هو الذنب الذي أقترفته تلك الطفلة لتعيش كل تلك السنين بلا أم وأب ؟ ولتعيش بقية حياتها عاملة في أحد المصانع فقط لتحصل على لقمة تبقيها على قيد الحياة ، ما ذنبها لتجوع ؟ ما ذنبها لتبرد ؟ ما ذنبها

لتبكي كل تلك السنين ؟ ولم يكتفوا بقتل أمي وأبي فقط بل وقتلوا آخر أمل لي في هذه الحياة .

- (السيد عماد) : ولكن كيف ؟

- حدث ذلك في إحدى الليالي المعتمة قبل عدة سنوات ، فتاة تسير وحيدة في شارع مظلم ، لقد حاولوا سرقتها عندما كانت وحيدة ، كعادتها تفعل الذئاب الغادرة ، فقد أنتظروها حتى تصبح وحيدة ، ومن ثم أحاطوا بها من كل جانب ، ولكنه ظهر فجأة وأوقفهم ، دافع بكل شجاعة عني وبقي يقاتل أولئك الأوغاد ، لكنهم كانوا أكثر منه ، وبادرواه بطعنة غادرة في ظهره ، انه خاطبي .

- (السيد عماد) : تذكرت .. أخبرنا مراد بتلك القصة قبل وفاته ، لكنه قال بأن الطعنة قد أصابت الفتاةولم تمت على إثرها .

- نعم فقد تلقيت أنا تلك الطعنة ، وأصابتني في القلب مباشرة وحالتي الخطرة أستعصت على الأطباء ، وقد فقدوا الأمل في بقائي على قيد الحياة ، لكني أستيقظت بعدها وتعافيت ، أتعلم لماذا ايها الضابط ؟ لأنه أعطاني قلبه ومات هو، ليته تركني لأموت .. ليته فعل ، ظنوا أن ما من أحد قد مات لأنهم توقعوا موتي أنا وليس هو ، ومنذ تلك اللحظة والنار تشتعل داخلي ، الحقد والكراهية لأولئك الأوغاد يقتلني .. يجب أن أنتقم ، لقد قتلوني ثلاث مرات ، ولن أموت مجدداً ، سيدفعون الثمن غالياً ..

وتحول لون وجه السيد عماد الى الأزرق بعد ما قالت تلك الجملة ، وفجأة همس إليه المحقق حسام والذي كان قد فقد القدرة على النطق نهائياً : " أنظر الى القناع ، أنه .. أنه .. أنظر .. يا إلهي.. من هذه " .

ونظر السيد عماد الى القناع الذي سقط على الأرض ، والذي كان بلا عيون، وليس مخيفاً أبداً ، أين تلك العينان الحمراوتان ! وذلك الشكل المرعب الذي رآه في ذلك القناع ! هذا يعني بأن من يتحدث اليهم .. هل هذه مزحة ؟ هل هو سحر ؟ كيف يحصل هذا ؟

- (السيد عماد مرتبكاً) : ك.. كيف .. كيف وضعتي العيون الحمراء ؟ هذا القناع عادي ، وليس فيه عيون .

- هناك مقولة قديمة تقول أن الأقنعة لا تفعل شيئاً سوا إظهار ما في القلب ايها الضابط ، أما العينان .. فعليك فقط البكاء لعشر سنوات متواصلة .. وستحصل على مثلهما ، أنهما حقيقيتان ، أخبرتك بأنني قد لا أكون بشرية مثلكم تماماً ، والآن يبدو بأنكما علمتما أكثر مما يجب ، على كل حال لا بأس في ذلك .. فلن تعيشا طويلاً ، كل شيء بدأ هنا .. سينتهي ، وأنتقامي الأخير .. سيبدء بعد قليل .

- (السيد عماد) : ولكن ما الذي تقصدينه ؟ ماذا ستفعلين الآن ؟

- أترى هذا الذي في يدي ايها الضابط ؟ أنه مؤقت زمني لقنبلة هائلة ، وأحزر ما الذي سينفجر ؟ أنه السد الرئيسي للمدينة ، وبانفجاره .. سيمحوا نصف المدينة بالكامل ، سيكون القتلى بالآلآف ، وسينتهي أمر أولئك القتلة نهائياً ، كم هو جميل هذا المشهد ايها الضابط، أليس كذلك؟

وقف شعر السيد عماد من هذا المخطط الجهنمي ، فإن نفذته فعلا فسيمحوا الطوفان نصف المدينة خلال دقائق معدودة ، والقتلى سيكونون بالآلآف فعلاً .. " يا إلهي كيف أوقف هذه المجنونة " .

- (السيد عماد) : أنتي مجنونة ، لابد وأنكِ كذلك ، ألا تملكين أيّ مشاعر ؟ ستقتلين الكثير من الأبرياء والمظلومين ، ستدمرين نصف مدينة يقطنها آلآف الأشخاص ، هل أعمى الأنتقام قلبك لهذه الدرجة ؟ أرجوكي فكري بما تفعلينه .. ما زال لديكي الفرصة للتراجع عن أفعالك ، لديكي الفرصة أن تعيشي كأيّ أنسان طبيعي .

- قلت لك .. لست بشرية مثلكم ، فأنا لم أعد أملك أي مشاعر ، ولا يهمني عدد الضحايا أو أن كانوا أبرياء أم لا ، سأقتلهم واحداً تلو الآخر حتى لو أضطررت لتدمير هذا الكوكب بأكمله ، سأقضي عليهم حتى لو مات كل أنسان على هذه الأرض معهم ، فإنتقامي عدالة ، والعدالة ستتحقق لا محالة ، العدالة ستأخذ مجراها رغماً عن الجميع ، وكل من

يقف في وجهها .. سيجرفه التيار ، هؤلاء الذين سيقتلون .. أنه حظهم العاثر الذي جاء بهم الى هناك ، ولتكن أرواحهم ثمناً لعدالة ضائعة عمرها عشرون عاماً ، ثم عن أي حياة تتكلم ايها الضابط ؟ أعلم جيداً أن حبل المشنقة ينتظرني إن خرجت من هنا معكما ، ثم أن ذنبي.. سيلاحقني ما حييت حتى يقتلني .

- (السيد عماد) : ذنب ؟ تعترفين بأنك مذنبة وأن ما تفعلينه جريمة وترفضين التراجع ؟ أي نوع من الأشخاص أنتي ؟

- هذا هو الأنتقام ايها الضابط ، فبعدما يكتمل ، لا يبقى للمنتقم هدف في هذه الحياة ، ولذة أنتقامه لا تدوم لأكثر من لحظة ، ومن ثم تحل مكانها الحسرات والندم ، مهما كان المنتقم حاقداً .. فلن ينجوا بعدها من نفسه .

- (السيد عماد) :<u>عدالتك مهما كانت ستبقى أنتقاماً ، والأنتقام بالتأكيد .. ليس إلا جريمة أخرى يعاقب عليها القانون</u> .

- أعلم ذلك جيداً ، لكن فات الأوان على التراجع الآن ، وهذا المكان سينفجر مباشرة بعد تفجير السد ، أتمنى أنكما قد عشتما حياة طويلة ، وبالنسبة لمن سيبقى حياً من تلك العائلة .. فبذور الإنتقام التي زرعتها فيكما ، وتلك التي سيزرعها الدمار الهائل ستتكفل بالباقي .. ولن يبقى منهم أحد على قيد الحياة ، إنتقامي القديم اليوم سيكتمل ، وسألحق انا بمن أشتقت اليهم ، وستلحق أنت ايها الضابط .. بصديقك .

- (السيد عماد) : لن تفعلي ذلك وانا حي ..

وسحب السيد عماد مسدسه ، ولكن رصاصتها كانت أسرع بكثير ، وقد أصابت يد السيد عماد وجعلته غير قادر على رفع المسدس مجدداً ، خفة حركتها وسرعتها الغير متوقعة كانت مفاجئة أخرى للرجلين ، هذه التي تقف أمامهما بالتأكيد .. ليست بشراً ..

- أتعلم.. لقد تركت مسدسك في مكانه عمداً ، كنت لأدعك تقتلني لو أن المتفجرات المزروعة هنا منذ وقت طويل لم تنفجر ، لكنني لن أسمح بهذا قبل أن أرى المدينة قد أصبحت ركاماً على ركام .

أجاب السيد عماد وهو يتألم : " هل تعرفين كم أماً ستقتلين ؟ وكم فتاة مثلك ستبقى وحيدة وستجوع وتعمل وتهان .. بسبب مخططاتك "

أرتجفت واهتز كيانها لكلمات السيد عماد ، ثم قالت : " هذه هي بذور الإنتقام التي قصدتها ايها الضابط ، هؤلاء .. سيعرفون بقصتي ، وسيلقون بجام غضبهم كله على أولئك الذئاب ايضاً ، ومشهد القتل الذي بدأته ، سيكمله الكثيرون ، ما بنيته أنا .. ليس إلّا بداية الطريق ، ومن سيأتون بعدي سيبنون مدينة يعمها العدل ، بعدما يتخلصون ممن بقي حياً من تلك العائلة ، وليس هذا فقط ، بل كل شخص في هذا العالم سيقرأ هذه القصة ، سيفعل ما فعلت أنا بالظلمة أمثالهم ، والنتيجة هي عالم يعمه السلام ، وإن بقي أحد منكما حياً فلا بد لقصتي أن تنتشر الى كل مكان ، لسوء الحظ لا أعتقد أنني سأكون حية لأشكركما حينها لذا شكراً من الآن لحضوركما الى هنا ايها السيدان"

- (السيد عماد) : يا لكِ من ذكية ، وكأنكِ تخيريننا بين الموت هنا أو الخروج بأفكارك التي ستدمر العالم ، لن نخرج من هنا وسنموت معاً اذا وسينتهي أنتقامك هذا هنا ، لن يعرف بقصتك هذه أحد ،ما رأيكي بهذا؟ يبدو بأن حساباتك لم تصب هذه المرة .

- الصفحات الممزقة من المذكرات ..

- (السيد عماد) : ماذا ؟

- انها موجودة ، وتحوي كل شيء قلته لكما قبل قليل ، ثمة نسخة اخرى كاملة من تلك المذكرات موجودة تماماً حيث يجب أن تكون ، سواءً عشتما أم لا ، فمخططي لن يقف على خياركما التافه هذا .

- (السيد عماد) : يا لكِ من شريرة ، تتحدثين عن حياتنا بكل هذا الاستهتار ، لا أعتقد أن في العالم من سيكون أكثر شراً منكِ .

- قل ما تشاء ، فلم يبقى لكما سوا أقل من خمسة دقائق ، وستتحول المدينة بعدها الى دمار .

وصرخ السيد عماد بأعلى صوته " لا .. لا تفعلي ، أرجوكي " ولم ينهي جملته حتى دوّى صوت البارود في الكهف المعتم و اخترقت رصاصة كتف المجرمة وأردتها على الأرض بلا حراك ، وظهر من الخلف ظل آخر..

- الى القيادة ، لقد عثرنا على الرئيس والمحقق ، أرسلوا سيارة أسعاف.

لم يكد السيد عماد والمحقق حسام يصدقان عينيهما مجدداً ، فقد عثر رجال الشرطة عليهما أخيراً ، لقد أنقذوهما من بين أنياب موت محقق ،وأندفع رجال الشرطة ليحلوا وثاقهما بسرعة وينقلوهما الى خارج الكهف .

- (المحقق حسام) : كيف وجدتمونا ؟

- (الشرطي) : وجدنا سيارة السيد عماد بالجوار ، لذا فتشنا الغابة بأكملها ، وفي النهاية سمعنا صرخة السيد عماد قادمة من هنا .

كان السيد عماد يهذي بكلمات غير مفهومة " السد .. بسرعة .. السد "وما ان خرج من باب الكهف حتى امسك بعنق الشرطي وصرخ : " لا وقت لشرح أي شيء .. علينا إنقاذ المدينة .. أخلوا المدينة فوراً " وعلى الفور .. دوّت صافرات الإنذار في كافة أنحاء المدينة وكأنها تتعرض لحرب طاحنة ، ولم يتأخر عنها كثيراً صوت الإنفجار الهائل ، واندفعت من بعده موجة مياه ضخمة بكل قوتها نحو المدينة ، وفي طريقها أزالت كل شجر او حجر او بيت صادفها ، تلك القوة الهدارة التي أطلقتها تلك الفتاة قبل سقوطها مباشرة .. أصبح من المستحيل إيقافها الآن ، ولم يعد هناك مجال لتفادي الكارثة ، الموج الغاضب دمر بالكامل كل شيء وقف في وجهه ، موج أسود .. بدى وكأنه يحمل حقد من أطلقه ، وتماماً كصاحبه فقد قتل المئات أيضاً .

لم يدم الفيضان طويلاً ، وعندما توقف كان النصف الشمالي من المدينة قد مسح عن الخريطة بالكامل ولم يبقى منه شيء يذكر ، ومن لم يجرفه التيار .. دفن فوراً في مكانه ، وبعدها بثوان .. انفجر الكهف وانهار

بكامله ، وكما بدأ كل شيء هناك .. فقد انتهى ، جثة الفتاة لم يعثر عليها.. ولا أحد متيقن إن كانت قد ماتت أم نجت من ذلك الأنفجار .

بفضل السيد عماد الشجاع والمحقق حسام الذكي أنقذت أرواح الآلآف من سكان المدينة ، ولكن عدد الضحايا بقي كبيراً وقد تجاوز الآلآف .

الى هنا .. وصلت قصتنا نحو النهاية ، وذلك الشر الغامض الذي أطلق نحو العالم ..انتهى أخيراً ، وقد انتهى من حيث بدأ ، لكنه حصد خلال فترة وجوده القصيرة تلك حياة آلآف البشر ، كل هذا بسبب ذلك الحقد الأسود والذي قتل صاحبه في نهاية المطاف ، لكل ظالم نهاية أيضاً .. ولا أحد سيهرب من أفعاله مهما طال الزمن .

****

- كان علّي قتلك منذ أول لقاء بيننا ايها الضابط ، لكن لا بأس .. إنتظر فقط حتى تشفى جراحي ، إنتقام قديم عمره أكثر من عشرين عاماً ، أتظن أنك قادر على القضاء عليه بتلك السهولة ، أنتظرني يا عماد .. سأعود ، وسأقضي عليك .. انتظرني .

- (المحقق حسام) : السيد عماد قد أختطف من سيارته ليلة الأمس ، وكأن الأرض أنشقت وأبتلعته ، لا أثر له مطلقاً ، و وجدت في سيارته تلك الورقة ، لا أصدق .. هل عاد مجدداً ؟

في الجزء القادم : الحقيقة الكاملة ، لكل ما وقع من جرائم .

*** <u>الجزء الثالث عندما يصبح الأنتقام عدالة : الحقيقة الكاملة</u> .**

<u>بقلم : ضياء الفاخوري</u>